سلسلة بيان المنهج الصوفى فى الدعوة إلى الله تعالى (١)

القول الصحيح

فى مشروعية المديح

تأليف الشيخ / أحمد بن الشيخ / دفع الله الصائم ديمه

سلسلة بيان المنهج الصوفى فى الدعوة إلى الله تعالى (1)

القول الصـــــحيح
فى
مشروعية المديح

تأليف فضيلة الشيخ
أحمد بن الشيخ/ دفع الله الصائم ديمه

الطبعة الثانية : مزيدة ومنقحة

1428هـ / 2007م

رقم الإيداع : 2007/21

حصاد للطباعة – الخرطوم
صفر 1428 هـ ، مارس 2007 م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

يا أيُّهَا النَّبيُّ إنَّآ أرْسَـلْنَاكَ شـاهِداً وَّمُبَشِّراً وَّنَذِيراً (45) وَدَاعِياً إلى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً (46) صدق الله العظيم

سورة الأحزاب

إهـــــداء

إلى عُشّاق مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم الّذين تتيمت قلوبهم وتمايلت أجسادهم وذرفت أعينهم وجداً بحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشوقاً إلى رؤيته ومرافقته في أعلى الجنان أهدى هذا الكتاب ليكون لهم ذخيرةً وعزاً وتأييداً

أحمد بن الشيخ/ دفع الله الصائم ديمه

شـكر وتقـدير

قال رســول الله صـلى الله عليه وســلم : (لا يشكر الله من لا يشكر الناس) [1] من هذا المنطلق يُشــرِّفنى ويُسْعِـدُنى أن أتقدم بأسمى آيات الشكر لمولانا الحسيب النسيب السيد / محمد ابن علوى المالكى الحسنى ، رحمه الله تعالى وجعل الجنة متقلبه ومثواه الذى أهدانى كتابه (المدح النبوى بين الغلو والإنصاف) وكان دافعاً لى فى وضع هذا الكتاب الذى جُلّهُ مُقْتَبسٌ منه ، ولا يفوتنى أن أقوم بذات الشُّكر والتقدير للأخ الشيخ / الرفاعى عبد الرحمن محمد الخير والأخ الأستاذ / عبد الرحمن محمد عبد الماجد (ودالكبيدة) اللَّذَيْنِ قاما بتصحيح النصوص وضبط الألفاظ ، جزاهما الله خير الجزاء ، كما لا يفوتنى أن أزجى الشكر الجزيل لكل من أسهم فى إنجاز هذا العمل .

المُؤلف

---

[1] أخرجه أبو داؤود فى سننه ، كتاب الأدب ، باب فى شكر المعروف .

تقـريظ البروفسير الشيخ/ محمد على الطريفى (رحمه الله تعالى) عميد كلية القرآن الكريم بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسـلامية سابقاً . ورئيس مجلس الفتوى بها سـابقاً . وعضـو مجمـع الفقـه الإسـلامى بالخرطوم سابقاً .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خيرة المرسلين سيدنا ومولانا محمد الممدوح فى القرآن الكريم بقولـه جل شأنه : (وإنك لعلى خلق عظيم) ـ القلم 4 ـ وعلى آله وأصحابه الغر الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . أما بعد

فقد اطلعت على المُؤلَّف الذى اختطه بيده الكريمة الشيخ أحمد بن الشيخ دفع الله الصائم ديمه .

وقد تعرفت على هذا الكـتاب المسـمى بـ (القول الصحيح فى مشروعية المديح) وتصفحت ما فيه من الأبواب والفصول مع الأخوة المريدين للشيخ دفع الله الصائم ديمه ، فأعجبت بما ذكر فى أبوابه وفصوله وراقنى ما فيه من حسن البيان وصحيح النقل ، مما تضمنه هذا الكتاب من ذكر الأدلة والآثار الواردة فى مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وإننى إذ أقرظ وأشيد بما فيه من حسن الأسلوب ورصانة الترتيب والاستشهاد المصيب لما بذلـه المؤلف من جهد عظيم وبيان كريم لمشروعية مدح النبى العظيم صلى الله عليه وسلم ، ونضرع إلى الله العلى القدير أن يتقبل من مؤلفه هذا العمل الصالح الذى يعود على المسلمين بمعرفة سيرة سيد المرسلين والتخلق بآداب النبى الأمين ، وأن يكون فى ذلك النفع لجميع المسلمين واقتداءً بالسلف الصالح مِن المادحين ومَن أتى بعدهم إلى يوم الدين .

هذا وعلى الله قصد السبيل إنه سميع مجيب .

الشيخ/ محمد على الطريفى

تقريظ البروفسير/ عون الشـــريف قاسم (رحمه الله تعالى) وزير الشئون الدينية والأوقاف ســابقاً . رئيس مجلس جامعة أمدرمان الإسلامية سابقاً .

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

لا يحتاج الباحث لدليل أعظم من القرآن الكريم على مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم . فقد مدحه ربه بأعظم الصفات فى قوله تعالى : (وإنك لعلى خلق عظيم) - القلم 4- وفى قوله تعالى : (ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) - آل عمران 159- وآيات الذكر الحكيم حافلة بذكر مآثره عليه الصلاة والسلام . وانداح بذلك مجال القول واسعاً أمام نوابغ الشعراء ، فمدحوه بأعظم الصفات على مدى الزمان فى حياته وبعد مماته وكان إقراره صلى الله عليه وسلم لذلك سنة متبعة لا ينكرها إلا مكابر .

وقد وفق الله شيخنا أحمد بن الشيخ دفع الله الصائم ديمه إلى التنقيب فى سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ، متتبعاً الآثار الواردة فى شرعية المديح فلمّ شتاتها وحقق أســانيدها ونضـــدها فى هذا الكتاب الذى أسماه : (القول الصحيح فى مشروعية المديح) ، فجاء وافياً بالغرض محققاً ومعززاً لما جادت به قرائح أئمة السلف فى هذا المقام . ويكتسب هذا الجهد أهمية خاصة فى هذا الزمان الذى ضعف فيه الإيمان وغمرته المذاهب الفاسدة التى تتطاول على مقام النبوة بدعوى التنزيه ناسية أو متناسية أن الله جلت قدرته قرن اسمه العظيم باسم رسوله الكريم فى أول أركان الإسلام وهو الشهادة . وقال : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) - الحشر7- وجعل حب رسوله من حب الله تعالى . وقد توسّل شيخنا إلى إبراز هذه المعانى التى تنفى كل شك وتزيل كل شبهة فى مشروعية المديح فى أسلوب سلس خالٍ من التعقيد والتقعر ، فجاء بما اشتمل عليه من إحالات واستشهادات عملاً علمياً رصيناً يلبى حاجة العالم الباحث كما يرضى طموح القارئ العادى . وهو فى كلا الحالين شاهد على ما أفاء الله به على شيخنا أحمد من شاعرية فذة برزت فى نثره المنظوم فى هذا السفر ، كما برزت فى مدائحه الثرة التى شنفت آذان محبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجزاه الله عن رسوله صلى الله عليه وسلم وعن أمته خـير الجــزاء وأوفاه . ونفــع الله بهذا الكتاب العباد والبلاد إنه أعظم مسئول ووفق الله شيخنا الجليل لمزيد من الجهد فى خدمة الإسلام والمسلمين ، والله الموفق للصواب والهادى إلى الصراط المستقيم .

البروفسير/ عون الشريف قاسم

تقريظ البروفسير الشيخ/ عبد الرحيم على محمد إبراهيم . مدير جامعة أفريقيا العالمية سابقاً . ومدير معهد الخرطوم للغة العربية حالياً .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً كثيراً على نعمه الظاهرة والباطنة ، وصلاة الله وسلامه على المبعوث رحمة للعالمين ، محمد المصطفى وعلى آله وأصحابه الكرام .

أما بعد : فقد شرفت بالإطلاع على هذه الرسالة القيمة فى شأن مديح رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد وجدتها سفراً علمياً منهجياً فى تناولـه للموضوع ، هادئ النفس جميل الأسلوب صحيح الاستشهاد يحيل القول إلى مصادره ، ويذكر المراجع ، ولا يطيل فى الاحتجاج بل يكتفى بالواضح من البرهان .

ولا شك فى أن مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أمر لا اعتراض عليه فهو كما ذكر الشيخ المؤلف ممدوح فى القرآن العظيم ، وقد تواترت الأخبار بمدح الشعراء لـه فى حياته ثم من بعد وفاته صلى الله عليه وسلم دون أن يقع إنكار على ذات الشعر وإنما وقع الإنكار من البعض على أمور تتصل إما بصفة المديح إذا خرجت عن الصواب أو بأداء المديح إذا اتصل بآلات الطرب أو نحو ذلك .

ولا يجوز إنكار أصل المديح بشئ تعلق به من المنكرات المعلومة أو المتوهمة ، فمن الظاهر الذى يخفى على كثير من الناس أن كثيراً من المباحات بل المندوبات قد تلتبس بها ويخالطها بعض المنكرات فيجب إنكار المنكر لا أصل المباح .

وقد علمنا أن دعاة الإسلام وشيوخ الطرق استخدموا المديح المنظوم فى الدعوة ونشر العلم بسيرة النبى صلى الله عليه وسلم ، بل فى شرح صدور الناس وإعدادها لحب النبى صلى الله عليه وسلم مدخلاً للتعلق به وتوقيره ومعرفة حقه ، إذ بهذا المنهج يسهل على السالك طريق الهدى أن يتبع سنة النبى ويستقيم على طاعته عن حب ورضا ، وتسخو نفسه وتنشط جوارحه للطاعة من طريق المحبة وهذا منهج فى التربية أصيل . وأساس هذا المنهج أن الإنسان إذا أحب أطاع وسهلت عليه الطاعة وأن المحب مقلد لمن يحب ، مراقب لـه فى كل أحواله راغب بظاهره وباطنه فى أن يكون مثله ، وعندئذٍ لا يكون تقليده بالحواس الظاهرة وحدها بل يجاوز ذلك للتقليد الصادر عن أعماق الباطن .

أما مؤلف الكتاب الشيخ أحمد بن الشيخ دفع الله الصائم ديمه فهو شيخ فى شبابه على نهج والده يرعى تعليم القرآن ويأنس إليه طلبة العلم ، كما أنه جمع بين رقة أهل التصوف ورفقهم وبين العلم الرصين وما هذه الرسالة إلا بعض الدليل على اهتمامه بالتعليم والتوجيه .

نسأل الله أن ينفع به ، وأن يجعل جيله من شيوخ التصوف فى بلادنا هداة مهديين ، وأن يجمع بهم الصف ، ويؤلف بهم القلوب وينصر بهم المؤمنين .

البروفسير/ عبد الرحيم على محمد إبراهيم

تقريظ الشيخ/ عادل حسن حمزة . مساعد الأمين العام لجمعية الإمام مالك الفقهية .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أفاض على عباده النعمة فكان بعثه للنبى صلى الله عليه وسلم أفضل نعمة ، وكتب على نفسه الرحمة وكان إرساله الرسول صلى الله عليه وسلم أكبر رحمة . وأشهد أن لا إله إلا الله عليه توكلت وإليه أنيب لا غنى لأحد عن فضله ورحمته . ولا طمع فى الفوز بجنته إلا بعفوه ومقدرته وإلا بإتباع رسوله صلى الله عليه وسلم وطاعته بل ومحبته والاعتراف بفضله والثناء عليه ومدحه . وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أرسله رحمة للعالمين فصلوات الله وتسليماته عليه وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين . وبعد

فقد اطلعت وقرأت كتاب (القول الصحيح فى مشروعية المديح) لمؤلفه الشيخ أحمد بن الشيخ دفع الله الصائم ديمه والذى قرر فيه جواز مدح النبى صلى الله عليه وسلم بما يكفى ويغنى من النصوص والأدلة النقلية والعقلية – فجاء هذا الكتاب يحمل إقناعاً واقتناعاً لكل من شك وتردد فى جواز مدح النبى صلى الله عليه وسلم إذا تجرد عن الهوى وطلب الحق صدقاً .

كما جاء للمقتنع بجواز المدح زيادة إيمان وهدى واطمئنان . ومما يلفت الانتباه والنظر فى هذا الكتاب القيم أن مؤلفه اختار نماذج فريدة تعد درراً نفيسة فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم الذى جاء على ألسنة كبار الصحابة الكرام ومشاهير المادحين . فكل من يطلع على هذه النماذج يستطيع أن يقرر أن مدح النبى صلى الله عليه وسلم عند الصحابة الكرام هو الأصل المباح الذى لا يحتاج إثباته إلى دليل . وأن من يدعى غير ذلك فهو المطالب أن يثبت العكس .

وإذا كان المدح هو الثناء فإن الثناء على رسول الله صلى الله عليه وسلم واجب على كل مسلم ، ومن ينكر وجوب الثناء على رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكم بكفره لمصادمته لصريح القرآن الكريم ، ومن يمنع مدح النبى صلى الله عليه وسلم فإنه يأمر تلقائياً بذمه والعياذ بالله وهو أيضاً من باب الكفر الصريح .

وبالجملة يمكن أن نقول عن هذا الكتاب إنه كتاب علم وروح وبركة لاغنى للمؤمن عنه ، كتاب علم لأنه حوى من المعلومات والأدلة العلمية ما يحتاج إليه المؤمن فى هذا الباب إخماداً لدعاوى المنكرين – ونشراً لدعوة الله ودينه وليس من باب المراء والجدال .

وهو كتاب روح لأن فيه شحذ الهمم والأرواح أن تسمو إلى الملكوت الأعلى تعلقاً بالله تعالى وحباً لرسوله صلى الله عليه وسلم .

ويكفى هذا الكتاب بركة أن مؤلفه هو ابن الشيخ دفع الله الصائم ديمه المشهود لـه بالولاية والبركة والصلاح .
وختاماً نسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب ومؤلفه الأمة الإسلامية وأن ينظمنا جميعاً فى سلك المحبين لرسوله صلى الله عليه وسلم إنه ولى ذلك والقادر عليه ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الشيخ/ عادل حسن حمزة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذى خصنا بالنبى الأمّى والرسول المكّى المدنى الذى جعله خير عباده من مخلوقاته فى أرضه وسماواته ، وقد حَنَّت إليه الجمادات ، واشتاقت إليه الصُّمُ الشامخات ، واستجابت لدعوته الأشجار والمزن الهاطلات ، و تعلقت به القلوب المنوّرات ، وأحبَّته النفوس الزاكيات ، فصلى الله عليه وسلم وبارك فى جميع الأوقات واللَّحظات ، وعلى آله الطاهرين المطهرين أزلاً من رب الأرض والسموات ، وعلى صحابته المُصْطَفيْنَ المُجْتَبَيْنَ ذوى القلوب السليمة والنفوس المستقيمة أهل الرأفة والرحمات ، الذين وصفهم المولى عز وجل بالصدق والفلاح ، فلقد نافحوا [1] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف واللسان فحازوا كل النجاح والصلاح . كيف لا وقد مدحهم المولى سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز قال تعالى :(فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون) [2] . فكما أنهم شهروا سيوفهم فى وجه الكفار نجدهم قد أطلقوا ألسنتهم تعبر عمَّا بوجدانهم من حب للرسول صلى الله عليه وسلم والإسلام فقد بارزوهم بالكلمات دفاعاً عن الرسول الكريم وقد أقرهم على ذلك صلى الله عليه وسلم ودعا لهم بالتأييد والتوفيق والتثبيت ، وقال : (لهى أسرع فيهم من نضح النبل) [3]. وقد أجاز صلى الله عليه وسلم قوماً أنشدوا مدائحهم بين يديه فأعطاهم العطاء الجزيل بل عفا عمّن كان أهدر دماءهم وهكذا خلق النبى صلى الله عليه وسلم عندما تأخذه الأريحية عند سماع المدح والرجاء والتوسل به صلى الله عليه وسلم . وإثباتاً لهذا المنهج القويم والتراث الأصيل ونفياً لما يدعيه الجهلة من إنكار المدح النبوى قمت بعون الله وتوفيقه بوضع هذا الكتاب وأسميته: (القول الصحيح فى مشروعية المديح) وقد نحوت فيه نحو الإيجاز فى إيراد المعلومة وعدم الإسهاب فى التفاصيل التى لها محلها من كتب الفقه والسيرة . ولهذا تجدنى قد ركَّزت على ذكر الدلائل البارزة لمشروعية المديح ولم يتسع المجال لاستقصائها ، بل ذكرت نماذج منها أحسب أن فيها الكفاية مما يقنع القارئ بمشروعية وجواز المديح . وَلمَّا كانت الغاية من الكتاب إثبات مشروعية المديح فبنفس القدر من تَوخِّى الإيجاز فقد أتيت بنماذج شعرية تشير إلى دليل جواز المديح دونما استفاضة فى إيراد كل الأشعار التى قيلت فيه صلى الله عليه وسلم ، وهى أجل من أن تحصر . أسال الله عزّ وجل أن ينفعنى وجميع المسلمين به وأن يغفر زلاتى ويقيلنى من عثراتى وأن يحفظنى من زلة الأقلام

---

[1] أي دافعوا وناضلوا .

[2] سورة الأعراف ، الآية رقم : 157.

[3] الشمائل المحمدية ، تأليف الإمام أبى عيسى محمد بن سَوْرَة الترمذى ، ص 170.

ويهدينى إلى طريق الحق والهدى بجاه خير الأنام ونور الظلام قرة الأعين والأبصـار وسـيد المهاجرين والأنصار سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

العبد الذليل

أحمد بن الشيخ/ دفع الله الصائم ديمه

القسم الأول :
مفهوم المدح والمديح

تعــريف المــدح

المــدح : لغة : الاتساع [1] ، يقال امتدح المكان أى اتسع ، وامتدحت خاصرة الماشية إذا اتسعت شبعاً . والمدح : هو الثناء الجميل أو ذكر الصفات الحسنة ، يقال مَدَحَهُ مدحاً أى أثنى عليه بما له من الصفات الجميلة .

المـديــح : المفرد منه أمدوحة ، ويجمع على مدائح .

الأمدوحة : ما يمتدح به - **المَمَادِح :** المحاسن تذكر فى المدح [2] .

المدح والمديح : اصطلاحا : فالمديح بمعنى ذكر الصفات الحسنة لون من ألوان الخطاب وجنس من الأجناس الأدبية التى تشمل الأقصوصة والرواية والنثر والشعر . ومعظم ما يراد به من المديح يقع فى دائرة الشعر أو النثر الوصفى . ونعنى بالمدح والمديح فى هذا الكتاب كل قول - سواء كان نثراً أم شعراً - أريد به ذكر صفات ومناقب وشمائل الرسول صلى الله عليه وسلم وآل بيته وصحابته رضى الله عنهم ، ويمتد الاصطلاح ليشمل ذكر الصفات الحسنة لصالحى هذه الأمة ممن اقتفوا آثاره صلى الله عليه وسلم .

إبتداءً : ماذا نقول فى هذا الرسول الكريم الذى امتدحه الرب العظيم الجليل فى كتابه التنزيل وأثنى عليه بما هو أهله . إذا قيل لك هنالك رجل عظيم عليم مدح رجلاً كريماً ذا خلق عظيم وهناك رجل ذميم دون العظيم امتدح ذلك الرجل الكريم فسوف يكون البون شاسعا والفرق واضحا بين الرجلين المادحين ، فما بالك بمن مدحه المولى العظيم الذى لا تحيط به الأفهام ولا يدرك عظمته أحد من الأنام . وقد صار مدح المولى عز وجل للنبى صلى الله عليه وسلم متناهى الحصر والكم ، و مستمراً وباقياً ما بقى هذا الكتاب القديم ماذا تقول بعد (وإنك لعلى خلق عظيم) [3] وماذا بعد (لَعَمْرُكَ) [4] وماذا بعد (وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم) [5] وماذا بعد (إنك لعلى هدى مستقيم) [6] .

وفى هذا المعنى يقول ابن الفارض :

أَرَى كُلَّ مَدْحٍ فِى النَّبِىِّ مُقَصِّراً ... وإنْ بَالَـغَ المُـثْـنِى عَـلَيْهِ وَأَكْثَرَا
إِذَا اللهُ أثْنَى بِـالَّـذِى هُـوَ أهْـلُـهُ ... عَلَيْـهِ فَمَا مِقْدَارُ مَا تَمْـدَحُ الوَرَى [7]

---

[1] لعل فى هذا المعنى إشارة إلى أن من امتدح شخصاً يكون قد اتسع فى شرح وتوضيح صفات هذا الممدوح .
[2] المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، الدكتور إبراهيم مدكور وآخرون ، ج 2 ، ص 892 .
[3] سورة القلم ، الآية رقم : 4 .
[4] سورة الحجر، الآية رقم : 72 .
[5] سورة الشورى ، الآية رقم : 52 .
[6] سورة الحج ، الآية رقم : 67.
[7] المجموعة النبهانية فى المدائح النبوية ، جمعها العلامة الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهانى ، ج 1 ، ص 3 .

وقال الإمام البوصيرى :

أبِذِكْرى الآيـات أوفِيكَ مَدْحـاً أيـنَ مِنـّى وأيْـنَ مِنْهَا الوَفـاءُ
كيفَ يَسْتَوْعـبُ الكَلاَمُ سَجاياكَ وَهَـلْ تَنْزَحُ الـبحـارَ الرِّكـاءُ
لَيْسَ مِنْ غَايَــةٍ لوَصْفِكَ أبْغِيهَا ولِلْقَـوْلِ غــايــةٌ وَانْتِـهــاءُ
إنَّمَـا فَضْـلُكَ الزَّمـانُ وآيــاتُكَ فيـمـا نَعُـــدُّهُ الآنـــاءُ
وَبِحُـبِ النَّبِيِّ فابْغِـى رِضَى اللهِ فَفى حُبِّهِ الرِّضَا والْحبَاءُ [1]

وآخـر يقـــول :

وَأُلْقِى حَتَّــى فِـى الجَمَادَاتِ حُبُّـهُ فَكَانَتْ لِإهْدَاءِ السَـلاَمِ لَهُ تُهْـدَى
وَفَارَقَ جِـذْعاً كَانَ يَخْطُبُ عِنْدَهُ فأنَّ أنِيــنَ الأُمِّ إذْ تَجِــدُ الفَقْــدَا
يَحِنُّ إلَيْـهِ الجِذْعُ يَـا قَـوْمُ هَكَـذا أمَـا نَحْنُ أوْلَى أنْ نَحِنَّ لَهُ وَجْدَا
إذَا كَانَ جِذْعٌ لَمْ يُطِقْ بُعْدَ سَاعَةٍ فَلَيْسَ وَفَاءً أنْ نُطِيقَ لَهُ بُعْدَا [2]

وبما أن المدح والمديح كثيراً ما يكون بالشعر فينبغى أن نلقى نظرة على الشعر والشعراء فى القرآن الكريم وما يُؤَيِّدُ ذلك من الأحاديث النبوية .

---

[1] قصيدة الهمزية فى مدح خير البرية ، للإمام شرف الدين أبى عبد الله محمد البوصيرى ، ص 30 ، 31 ، 32 .

[2] محبة النبى صلى الله عليه وسلم وطاعته بين الإنسان والجماد ، تأليف الأستاذ الدكتور خليل إبراهيم مُلاَّ خاطر ، ص 5 .

وقفة مع قوله تعالى :
(والشعراء يتبعهم الغاوون.....)

إنه نسبةً لأهمية الشعر وتأثيره على أتباع الشعراء فى المدح والذم ، وفى الهداية والغواية فقد ورد فى القرءان الكريم ذم شعراء الضلال والكفر ، ومدح شعراء الهدى والإسلام ، فقال تعالى : (والشعراء يتبعهم الغاوون * ألم تر أنهم فى كل وادٍ يهيمون * وأنهم يقولون ما لا يفعلون * إلّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظُلِموا وسيعلم الذين ظَلَموا أى منقلب ينقلبون) [1] .

لقد ذكر المفسرون [2] أن الآية الأولى من هذه الآيات (والشعراء يتبعهم الغاوون) أنها نزلت فى شعراء الكفار الذين كانوا يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم عددت الآيتان من بعدها (ألم تر أنهم فى كل وادٍ يهيمون * وأنهم يقولون ما لا يفعلون) صفات هؤلاء الشعراء الذين يذهبون فى كل المذاهب تائهين (فى كل واد يهيمون) ، والذين ديدنهم الكذب والنفاق فى كل أقوالهم (يقولون ما لا يفعلون) . ثم استثنت الآية الأخيرة الشعراء المسلمين المؤمنين العاملين فعل الخير والصلاح . فـ (الـ) فى كلمة (الشعراء) تفيد الاستغراق ، أى مطلق أنواع الشعراء ، ثم يأتى الاستثناء من هذا الكل المطلق بكلمة (إلّا) ليفيد الندرة والصفوية للمستَثْنَى (الذين آمنوا) فهم الصفوة الربانية المختارة من سائر الشعراء ممن وصفتهم الآية (الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعدما ظُلِموا وسيعلم الذين ظَلَموا أي منقلب ينقلبون) . فشعر هؤلاء يتمثل فى توحيد الله عز وجل والثناء عليه والدفاع عن الإسلام ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم وآل بيته وأصحابه وصلحاء الأمة والدعوة إلى مكارم الأخلاق والفضيلة ونحو ذلك . فكل أشعارهم هذه هى من قبيل ذكر الله تعالى . وقد جاء فى الحديث الشريف عن كعب – رضى الله عنه – أنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم : إن الله عز وجل قد أنزل فى الشعر ما أنزل ، فقال :(إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه) [3] . وعن عبد الرحمن بن كعب عن أبيه – رضى الله عنهما – أنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : (إن الله – عز وجل – قد أنزل فى الشعر ما أنزل ، فقال : إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذى نفسى بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النبل) [4] .

---

[1] سورة الشعراء الآيات رقم : 224، 225، 226 ، 227 .

[2] أنظر : تفسير القرطبى ، لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى، ج 13 ، ص97 - حاشية العلامة الصاوى على تفسير الجلالين ، للعارف بالله تعالى الشيخ أحمد الصاوى المالكى ،ج 3 ، ص 184 ، 185- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التاويل، تأليف أبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزَّمَخْشَرِى الخَوَارِزْمِى، ج 3 ، ص 131 - تفسير القرآن العظيم ، للإمام الحافظ عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن كثير، ج 3، ص 342 .

[3] مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تأليف الحافظ نور الدين على بن أبى بكر بن سليمان الهيثمى،ج 8 ، ص 158.

[4] مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ج 6 ، ص 416 .

بل نجده صلى الله عليه وسلم قد أثنى على الشعر ، فعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (إن من البيان لسحراً وإن من الشعر حكمة) [1] وعن أبى هريرة – رضى الله عنـــه – قـال : قـال رسـول الله صلى الله عليـه وســـلم : (أصدق كلمة قالها شاعر ، كلمة لَبيد : ألا كل شئ ما خلا الله
باطل) [2] كمـــا تمـــثل [3] صلى الله عليه وسلم بشئ من الشعر فعن المقدام بن شريح ، عن أبيه قال : قلت لعائشة رضى الله عنها : أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بشئ من الشعر ؟ فقالت : كان يتمثل بشئ من شعر عبد الله بن رواحة :
وَيَأْتِيكَ بالأَخْبَارِ مَنْ لمْ تُزَوِّدِ [4] [5]

وعن البرّاء – رضى الله عنه – قال : لما كان يوم الأحزاب وخندق رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عنى التراب جلدة بطنه وكان كثير الشَّعْر . فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة وهو ينقل من التراب يقول :

اللَّهُمَّ لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهتَدَيْنا وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنا
فَأَنْـزِلَـنْ سكِيـنَةً عَلَيْنا وَثَبِّتِ الأَقْـدَامَ إِنْ لاَقَيْنا
إِنَّ الأُولَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنا وَإِنْ أَرَادُوا فِـتْنَةً أَبَيْنـا

قال : ثم يمد صوته بآخرها [6]

وقد وردت أحاديث كثيرة فى هذا الشأن والقول الفصل فى الشعر قد جاء فى الحديث الشريف ، فعن عبد الله بن عمر – رضـى الله عنهما – قال : قال رسـول الله صـلى الله عليـه وسلم : (الشـــعر بمنزلة الكلام : حسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام) [7] .

فإذا جاز الشعر بحسب الآيات والأحاديث التى وردت آنفاً فمن باب أولى أن يكون المدح جائزاً ومشروعاً لأنه أنزه ما يقال فيه الشعر ؛ أمّا الشعر المذموم فهو يتمثل فى الغزل الفاضح والتشبيب بالنساء ومدح من لا يستحق المدح طلباً للعطاء والوقوع فى

---

[1] مجمع الزوائد ، ج 8 ، ص 158.
[2] أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الشعر .
[3] لم يكن هذا إلا مجرد ترديد لبعض أشعار غيره صلى الله عليه وسلم كما ثبت في الأحاديث الصحيحة أما إنشاؤه الشعر فلا وقد بين الله عز وجل عدم إنشاء النبى صلى الله عليه وسلم الشعر فى قوله تعالى : (وما علمناه الشعر وما ينبغى له) سورة يس ، الأية رقم : 69 ، واستشهادنا هنا بتمثله صلى الله عليه وسلم بشئ من الشعر إنما أوردناه للاستدلال على مشروعية إنشاء ورواية وإنشاد شعر المدح .
[4] الأدب المفرد ، للإمام الحافظ محمد بن إسماعيل البخارى ، ص 256 .
[5] صدر البيت : سَتُبْدِى لك الأيام ما كنت جاهلاً . نقلاً عن : حاشية العلامة الصاوى على تفسير الجلالين، ج 3 ، ص 330 .
[6] أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب المغازى ، باب غزوة الخندق وهى الأحزاب .
[7] الأدب المفرد ، ص 256.

أعراض الناس وما إلى ذلك فحينئذٍ يكون الشعر مذموماً . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذئ) [1] .

والمدح عند الفضلاء نوع من الإلهام والفتح الربانى .

فها هو سيدنا عبد الله بن رواحة عندما سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً : (أخبرنى ما الشعر يا عبد الله) قال : شئٌ يختلج فى صدرى فينطق به لسانى ، قال فأنشدته :

فثَبَّتَ الله مَا أتاكَ مِنْ حَسَنٍ قَفَوْتَ عِيسَى بِإِذْنِ اللهِ والقَدَرِ

فقال النبى صلى الله عليه وسلم :(وإياك ثبت الله وإياك ثبت الله وإياك ثبت لله) [2].

فالشعر عند ابن رواحة وسيلة للمدح النبوى الذى هو إلهام من الله تعالى وفيض من الفيوضات الربانية يجريه الله على من يشاء ويحب من عباده المؤمنين ، ولذا نجد أن العلامة الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهانى فى كتابه (المجموعة النبهانية) : يعزو عدم مدح مشاهير الشعراء للنبى صلى الله عليه وسلم أمثال المُتَنَبِّى والبُحْتُرِى وأبى تَمَّام لأنهم لم يكونوا على استقامة من أمرهم ولا على لهجة صادقة فى مدحهم ، وتوغلهم فى الكذب بأبلغ العبارات فى المدح إذا رضوا ، والذم إذا غضبوا ، فضلاً عن تعديهم على أعراض الناس وقذفهم المحصنات والتشبيب بمُعَيَّنٍ من النساء والغلمان ونحو ذلك، وكفى بذلك مانعاً لهم من مدح النبى صلى الله عليه وسلم لأن مدحه طاعة لله وعمل صالح لايقدر عليه العبد إلا بتوفيق من المولى سبحانه وتعالى ، وكونهم من مشاهير الشعراء لا يقتضى تأهلهم لعبادة الله بمدح نبيه وحبيبه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . فإنا نرى كثيراً من الأغنياء لا يحجون ولا يزكون ولايتصدقون بينما نرى بعكسهم كثيراً من الفقراء يحجون ويزكون ويتصدقون . كما نرى كثيراً من الأقوياء لايصلون ولايصومون ولايقومون الليل ، ونرى بعكسهم كثيراً من الضعفاء يصلون ويصومون ويقومون الليل ، وما ذلك إلا بسبب توفيق الله تعالى لكثير من الفقراء والضعفاء وعدم توفيقه لكثير من الأغنياء والأقوياء [3] ، لأن العبد لا حول لـه عن المعصية ولا قدرة له على أداء الطاعة إلا بالله فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

---

[1] أخرجه الترمذى فى سننه ، كتاب البر والصلة ، عن علقمة عن عبد الله رضى الله عنهما .

[2] العقد الفريد، تأليف الفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى ،ج 6، ص 128 .

[3] المجموعة النبهانية ، ج 1 ، ص 33 . بتصرف .

إيضاح حديث لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم

عن ابن عباس رضى الله عنهما سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه على المنبر يقول : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : (لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم وإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله) [1] .

وقد فهم بعض الناس من قوله صلى الله عليه وسلم : (لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم) النهى عن مدحه صلى الله عليه وسلم ، واعتبار ذلك من الإطراء والغلو المذموم المؤدى إلى الشرك ، وأن كل من مدحه صلى الله عليه وسلم ورفعه على غيره من عامة البشر وأثنى عليه ووصفه بمزاياه وخصائصه فقد ابتدع فى الدين وخالف سنة سيد المرسلين وخاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ، فهذا فهم سيئ وتأويل غير صحيح يدل على قصر نظر صاحبه وعدم أهليته للفهم والبحث . والمعنى أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى أن يُطرَى كما أطرت النصارى ابن مريم إذ قالوا إنه ابن الله أو هو إله أو ثالث ثلاثةٍ ، والمعنى أن من أطراه ووصفه بما وصف به النصارى نبيهم فقد صار مثلهم . ونحن والحمد لله معشر المحبين والمادحين والواصفين لرسول الله صلى الله عليه وسلم منذ بعثته صلى الله عليه وسلم لم نر ولا سمعنا بأن هنالك قوماً أو فرداً من الأمة المحمدية بلغ به الحب للنبى صلى الله عليه وسلم حتى قال إن محمداً صلى الله عليه وسلم ابن الله أو هو إله أو أنه يتصرف بملكه ونفسه بغير إذن الله تعالى . كلا وحاشا وستكون هذه الصفة ملازمة لأحبابه ومادحيه إلى قيام الساعة إن شاء الله تعالى ، فمهما بالغنا فى حبه وتوقيره وتعظيمه لم يصل بنا الحال إلى أن ننسبه لشئ من أفعال الألوهية أو الربوبية ، فإنما هو عبد الله ورسوله الذى خصه بالخلق العظيم والدين المستقيم :

فَهْوَ مُحَمَّدٌ المَحْمُودُ سِيرَتُهُ وَهْوَ أَبَرُّ بنِي الدُّنْيا وأَوْفَاهَا

ومن الأدلة التى يتمسك بها المنكرون للمديح وُيخطِئون بها الفهم والتى يجب علينا إيضاحها حديث النبى صلى الله عليه وسلم : (إذا رأيتم المداحين فأحثوا فى وجوههم التراب) [2] . فإن المداحين هم الذين اتخذوا المدح صنعة يستأكلون بها الممدوح كفعل الشعراء سابقاً ، أو أنهم الذين يمدحون من لا يستحق المدح ، والذين يمدحون الظلمة والأثرياء ، ويأتون المدح تفاخراً وعصبية ؛ فهذا مذموم منهى عنه كما أشرنا إلى هذا

---

[1] أخرجه البخارى فى صحيحه ،كتاب أحاديث الأنبياء ،باب قول الله تعالى :(واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً) .

[2] أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الرقائق ، باب النهى عن المدح إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة على الممدوح ، عن المقداد رضى الله عنه .

المعنى سابقاً [1]، ولو كان المنهى عنه مطلق المديح لكان الأولى أن يحثى رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب فى وجه مادحه حسان بن ثابت رضى الله عنه . أمَّا من مدح على الأمور الحسنة والفعل المحمود ترغيباً فى أمثاله وتحريضاً للناس على الاقتداء به فى أشباهه فليس بالمَدَّاح المقصود فى الحديث [2] . بل هو جائز فعن أبى ذر رضى الله عنه قال : قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ، ويحمده الناس عليه ؟ قال : (تلك عاجل بشرى المؤمن) [3] . وَحَمْدُ الناس لهذا الرجل هو من باب المدح له .

---

[1] أنظر : موضوع (وقفة مع قوله تعالى : والشعراء يتبعهم الغاوون) .
[2] الوهابية خطة سياسية أم دعوة دينية ، تأليف السيد محمد الأمين العمرابى ، ص 64 بتصرف .
[3] أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب البر والصلة والأدب ، باب إذا أثنى على الصالح فهى بشرى ولا تضره .

حـقيقة اعتقــاد المــادحــين

إننا وجميع المادحين لحضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم الذين نتغنى بقصائدهم فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم ونتناشد أشعارهم نعتقد أنه بشر يجوز عليه ما يجوز على غيره من البشر من حصول الأعراض والأمراض التى لا تؤدى للنقص والتنفير . ونعتقد أنه صلى الله عليه وسلم عبد الله ورسـوله و لـه من المعجزات والمزايا والخصائص والكمالات فى كل المجالات والترقى على الدرجات ما لا يعلمه إلا خالقه الذى اصطفاه واجتباه واستخلصه من خلقه . ونعتقد أن هذه المزايا و المعجزات لا تنقضى بموته وانتقاله إلى الرفيق الأعلى بل فضله ومقامه وجاهه عند ربه باقٍ وهو أكمل وأكثر مما كان فى حياته (وللآخرة خير لك من الأولى) [1] . وإننا بفضل الله تعالى نعرف ما يجب لله تعالى وما يجب لرسوله صلى الله عليه وسلم ، ونعرف ما هو محض حق لله تعالى وما هو محض حق لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، من غير غلوٍ أو إطراء يصل إلى حد وصفه بخصائص الربوبية والألوهية فى المنع والإعطاء والهيمنه الشاملة والخلق والملك والاستقلال - دون الله تعالى - والتدبير والتفرد بالكمال والجلال والتقديس والتفرد بالعبادة بمختلف أنواعها وأحوالها ومراتبها ، وأما الغلو الذى يعنى التغالى فى محبته وطاعته والتعلق به فهذا محبوب ومطلوب غير غلو النصارى واليهود فى أنبيائهم من أنهم آلهة أو أبناء آلهة فهذا ممنوع ومحرم بل كبيرة من الكبائر ، أما الهيام والمحبة والغرام لجناب المصطفى صلى الله عليه وسلم وسيرته العطرة فهذا من صميم الدين ومن أصل الهدى والإيمان ، وتعظيمه صلى الله عليه وسلم فإنه من أقرب الأعمال الصالحة التى ينال بها الفوز والرضا . فالنبى صلى الله عليه وسلم عَظَّمَهُ ربُّه بأرقى أنواع التعظيم ، فهذا البوصيرى قائد رابطة المادحين وأستاذ الشعراء المتخصصين فى مدح سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم يبين فى بردته العظيمة المشهورة عقيدته الصحيحة فى النبى صلى الله عليه وسلم حيث يقول :

دَعْ مـا أدَّعَتْهُ النَّـصَارَى فى نَبِيّـهُم ... وَاحْكُمْ بمـاشِئْتَ مَدْحاً فيـه واحْتَكِمِ
وانْسُبْ إلى ذَاتِهِ مَاشِئْتَ مِنْ شَرَفٍ ... وانْسُبْ إلى قَدْرِهِ مَا شِئْتَ مِنْ عِظَمِ
فـإنَّ فَضْـلَ رَسُــولِ اللهِ لَيْسَ لَــهُ ... حَـدٌّ فَـيُعْرِبَ عَنْــهُ نَــاطِـقٌ بِفَـمِ [2]

يقول أمدح وبالغ مهما شئت فيه ولكن احذر أن يصل بك الحال فى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى ما وصل إليه الحال بالنصارى فى سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام حينما قالوا إنه ابن الله وثالث ثلاثة ، ويقول مكملاً عقيدته :

---

[1] سورة الضحى ، الآية رقم : 4 .
[2] قصيدة البردة المباركة ، للإمام البوصيرى ، ص 15، 16 .

فَمَبْلَغُ العِلمِ فيهِ أنَّهُ بَشَــرٌ وَأنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللهِ كُلِهِمِ [1]

ويقول فى قصيدة أخرى متبرئاً من أن تكون له فى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عقيدة فاسدة كعقيدة النصارى فى نبيهم سيدنا عيسى عليه السلام إذ اعتقدوا ألُوهِيَّتَهُ .

يَاحَبِيباً وَشَفِيعًا مُطَاعًا حَسْبُنَا أنَّ إلَيْكَ الإيَابَا
لَمْ نَقُلْ فِيكَ مَقَالَ النَّصَارَى إذْ أضَلوَّا فى المَسِيحِ الصَّوَابَا
إنَّمَا أنْتَ نَذِيْرٌ مُبِيْنٌ أنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الكِتَابَا [2]

وقال الإمام أثير الدين محمد بن يوسف الأندلسى فى قصيدته الغراء :

سِرٌّ مِنَ العَالَمِ العُلْوِىّ ضَمَّنَهُ جِسْمٌ مِنَ الجَوْهَرِ الأرْضِي مَجْبُولُ
نُورٌ تَمَثَّلَ فِى أبْصَارِنَا بَشَراً عَلَى المَلاَئكِ مِنْ سِيمَاهُ تَمْثِيلُ [3]

---

[1] المصدر السابق ، ص 17 .
[2] المدح النبوى بين الغلو والإنصاف ، تأليف السيد محمد بن علوى المالكى الحسنى ، ص 13.
[3] المصدر السابق ، ص 41 .

المدح النبوى وسيلة للدعوة إلى الله تعالى والتعرف على سيرته صلى الله عليه وسلم

إن المدح النبوى من أقوى وسائل الإعلام ونشر الدعوة الإسلامية . والمواقف كثيرة تلك التى كان للشعر فيها نصيبٌ كبيرٌ فى استمالة من دخل الإسلام فيما بعد ، أو ردع من تحرش بالمسلمين . فبالمدح دخل كبار المعاندين الإسلام . قال صاحب العقد الفريد : (لو لم يكن من فضائل الشعر إلا أنه أعظم الوسائل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ لكفى ـ) [1] . وقال ابن سيرين : بلغنى أن دوساً أسلمت فَرَقاً ـ خوفاً ـ من ـ قول ـ كعب ابن مالك صاحب النبى صلى الله عليه وسلم حيث يقول :

قَضَيْنَا مِنْ تِهَامَةَ كُلَّ نَحْبٍ وَخَيْبَرَ ثُمَّ أَغْمَدْنَا السُّيُوفَا
نُخَيِّرُهَا وَلَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ قَوَاضِبُهُنَّ دَوْساً أَوْ ثَقِيفَا [2]

(فلما بلغ ذلك دوساً قالوا خذوا لأنفسكم لا ينزل بكم ما نزل بثقيف) [3] .

وأيضاً قد كان الذى هاج – تسبب فى – فتح مكة – المكرمة – أن عمرو بن مالك الخزاعى ، ثم أحد بنى كعب خرج من مكة حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ؛ وكانت خزاعة فى حلف النبى صلى الله عليه وسلم فى عهده وعقده ؛ فلما انتقضت عليهم قريش مكة وأصابوا منهم ما أصابوا ، أقبل عمرو بن سالم الخزاعى بأبيات قالها ، فوقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد بين أظهر الناس ، فقال : [4]

لاهُـمَّ إنِّـى نـاشِـدٌ مُـحَـمَّـداً حِـلْـفَ أبِـيـنَا وأبِيـه الأتْـلَـدا
كُنْتَ لَنَـا أبـاً وَكُـنَّـا وَلَـدا ثَمَّـتَ أَسْلَمْنَا فَلَمْ نَنْزَع يَـدا
فَانْصُرْ رسول الله نَصْراً عَتَدَا وَادْعُ عِـبَـادَ اللهِ يـأتُو مَـدَدَا
فِيـهِـمْ رَسُولُ الله قَـدْ تَجَرَّدا إنْ سِيـمَ خَسْفاً وَجْـهُهُ تَـرَبَّـدا
فِى فَيْلَقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرِى مُزْبِدا إنّ قُرَيْشاً أَخْلَفُوكَ المَوْعِـدا
وَنَقَضُـوا مِيـثَاقَكَ الْمُؤَكَّـدا وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتَ تَدْعُوا أَحَدا
وَهُـمْ أَذَلُّ وَأَقَـلُّ عَـدَدَا قَـدْ جَـعَلُوا لِى بِكِداءَ رُصَّـدا
هُـمْ بَيَّـتُونَا بِالوَتِيرِ هُجَّـدا فَقَـتَـلُونَـا رُكَّـعا وَسُـجَّـدا

---

[1] العقد الفريد ، ج 6 ، ص 128 .
[2] المصدر السابق ، ج 6 ، ص 127 .
[3] شرح العلامة الزرقانى على المواهب اللدنية ، للعلامة القسطلانى ، ج 5، ص 75.
[4] العقد الفريد ، ج 6 ، ص 129 .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (نصرت يا عمرو ابن سالم) فما برح حتى مرت عنانة فى السماء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب) وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجَهاز وكتمهم مخرجه وسأل الله أن يعمى على قريش خبره حتى يبغتهم فى بلادهم وسار فكان فتح مكة [1] .

كما أن المدح النبوى وسيلة من وسائل الخير عنده صلى الله عليه وسلم ، فقد قضيت به كثير من الحاجات وأعتقت كثير من الرقاب بعد إهدار دمها لمن يستحق العقاب . وهو أيضاً من أبواب الأعمال الصالحة التى ترضى الله ورسوله وتغيظ الكفار والملحدين (ولا يطئون موطئاً يغيظ الكفار) [2] وهى عليهم أشد من وقع النبال. كما أنه أحرى لجذب قلوب العامة من الناس لاحتوائه الدعوة إلى المحبة والآداب الإسلامية والإرشاد والسيرة النبوية المطهرة وهو من الأبواب الداعية إلى محبة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

ولهذا فقد اقتدى التابعون بالصحابة وجعلوا ينظمون الشعر ويشنفون آذان المحبين بمدحه صلى الله عليه وسلم . وكل ذلك بدافع محبتهم للرسول صلى الله عليه وسلم ولتعريف الناس بالسيرة النبوية . ونحن هنا سنذكر بعض العلماء والصلحاء الذين مدحوا الرسول صلى الله عليه وسلم والذين يعتبر مدحهم فى حد ذاته دليلاً على مشروعية المديح إذ أنه بمثابة فتوى علمية من جانبهم تُقَرِّر جوازه . وها نحن نستشهد بمقتطفات من بعض القصائد :

1/ الإمام أبو حنيفة : لما زار أبو حنيفة المدينة المنورة وقف أمام قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم وقال :

يَــا أَكْــرَمَ الثَّقَلَيْنِ يَــا كَنْزَ الــوَرَى ... جُدْ لِى بِجُودِكَ وَارْضِنِى بِرِضَاكَ
أَنَا طَامِعٌ فى الجُودِ مِنْكَ وَلَمْ يَكُنْ ... لأَبِى حَنِيــفَـةَ فى الأَنَامِ سِـوَاكَ [3]

2/ الإمام الشافعى : فقد بلغ به حبه للنبى صلى الله عليه وسلم أن امتدح آل البيت والصديق والفاروق فقال فى آل البيت :

يَــا آل بَيْتِ رَسُــولِ اللهِ حُـبُّكُمُ ... فَرْضٌ مِنَ اللهِ فى القُرْءَانِ أَنْزَلَهُ
يَكْفِيكُمُ مِـنْ عَظِيمِ الفَخْرِ أَنَّـكُمُ ... مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْكُمْ لاَ صَلاَةَ لَـهُ

وقال فى الصديق والفاروق :

شَـهِدتُ بِأَنَّ اللهَ لاَ رَبَّ غَـيْرُهُ ... وَأَشْـهَدُ أَنَّ البَعْثَ حَـقٌّ وَأَخْلَصُ
وَأَنَّ عُـرَى الإِيمَانِ قَوْلٌ مُبِينٌ ... وَفِـعْلٌ زَكِيٌّ قَـدْ يَزِيـدُ وَيَـنْقُصُ
وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ خَلِيفَةُ رَبِّـهِ وَكَانَ ... أَبَــاحَفْصٍ عَلَى الخَيْـرِ يَحْـرُصُ

---

[1] أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، للإمام عز الدين أبى الحسن على بن محمد الجزرى بن الأثير، ج 4 ، ص : 104 ، 105 .
[2] سورة التوبة ، الآية رقم : 120 .
[3] الذخائر المحمدية ، تأليف السيد محمد بن علوى ، ص 159 .

أَئِمَّةُ قَــوْمٍ يُـهْتَدَى بِـهُدَاهُـمُ لَحَــى اللهُ مَنْ إِيَّاهُمُ يَتَنَقَّصُ [1]

3/ الإمام الحافظ ابن حَجَرْ العَسْقَلانى :

نَبِيُّ خُــصَّ بِـالتَّقْدِيمِ قِدْمَــاً وَآدَمُ بَـعْدُ فـى طِـينٍ وَمــاءِ
سَرَى لِلْمَسْجِدِ الأقْصَى بِلَيْلٍ مِـنْ البَيْتِ الحَـرَامِ إِلى السَّمـاءِ
عَلاَ وَدَنـا وَجَـازَ إِلـى مَقــامٍ كَرِيمٍ خُصَّ فِــيهِ بِالإِصْـطِفَاءِ
وَلَـمْ يَـرَ ربَّـه جَـهراً سِــوَاهُ لِسِرٍّ فِيــهِ جَــلَّ عَنِ امْتِرَاءِ
نَـبِـيَّ اللهِ يَــا خَـيْرَ البَـرَايـا بِجَاهِكَ أَتَّـقِى فَــصْلَ القَضـاءِ
وَأَرْجُـو يَـا كَرِيـمُ العَفْوَ عَمَّــا جَنَتْهُ يَـدَاى يــا رَبَّ الحِــبَاءِ
وَسَنَّ بِمَدْحِـكَ ابْنُ زُهَيرٍ كَعْبٌ لِمِثْلِى مِـنْـكَ جَـائِــزَةَ الثَّنــاءِ
فَـقُلْ يـا أَحْمَدُ بـنُ عَـلِىٍّ أَذْهَبْ إِلـى دَارِ النَّـعِيـمِ بِــلاَ شَــقاءِ
فَإِنْ أَحْزَنْ فَمَدحُكَ لِى سُرُورِي وَإِنْ أَقْنَطْ فَحَــمْدُكَ لِى رَجَائِى
عَلَيْكَ سَــلاَمُ ربِّ النَّـاسِ يَتْلُــو صَلاَةً فى الصَّبَاحِ وَفى المَساءِ [2]

4/ الإمام تقى الدين السُّبْكى :

إِذَا كُنْتُ جَارَ المُصْطَفَى وَنَزِيلَهُ فَيَقْبُحُ بِـى شَوْقِى لِأَهْـلِى وَأَوْطَانِـى
أَأَرْغَبُ عَنْ دَارٍ بِهَا الخَيْرُ كُلُّه وَفِيهَا هَوَى القَاصِى وَأُمْنِيَّةُ الدَّانِى [3]

5/ الإمام الحافظ القَسْطَلانى :

أنشد حين زيارته الرسول صلى الله عليه وسلم سنة 892 هـ :

أَتَـيْتُكَ زَائِــراً وَوَدِدْتُ أَنِّــى جَـعَلْتُ سَوَادَ عَــيْنِى أَمْتَطِيهِ
وَمَا لِى لاَ أَسِيرُ عَلَى الأَمَاقِى إِلى قَبْرٍ رَسُــولُ اللهِ فيــهِ [4]

6/ الإمام الحافظ الفقيه ابن حجر الهَيْتَمِى :

تَوَاتَــرَتِ الأَدِلَّــةُ وَالنَّقُـولُ فَمَا يُحْصِى المُصَنِّفُ مَا يَقُولُ
بَـأَنَّ الـمُصْطَفَى حَــيٌّ طَرِىٌّ هِــلاَلٌ لَـيْسَ يَطْــرُقُه أُفُـولُ
وَأَنَّ الجِسْمَ مِنْــهُ بِقَـاعِ لَـحْدٍ كَـوَرْدٍ لاَ يُــدَنِّسُــهُ الـذُّبُــولُ
وَلَمْ تَأْكُلْ لَــهُ الغَبْـرَاءُ لَحْماً وَلاَ عَــظْماً ، وَأُثْبِتُ مَا أَقُولُ
كَذَا الأَعْمَالُ تُعْرَضُ كُلَّ يَوْمٍ عَلَيْهِ كَىْ يُسَــرُّ بِهــا الرَّسُــولُ

---

[1] ديوان الإمام الشافعى ، لأبى عبد الله محمد بن إدريس الشافعى ، ص 32 ، 33 .
[2] المجموعة النبهانية ، ج 1 ، ص 147 ، 148 ، 149 .
[3] المصدر السابق ، ج 4 ، ص 160 .
[4] المصدر السابق ، ج 4 ، ص 232.

فَإِنْ كَانَتْ صَلاَحاً قَامَ يَدْعُو ... إِلـى المَـوْلَى لِيَقْبَلَ مَـا يَقُـولُ
وَإِلّا غَيْـرَ ذَلِكَ فَهْوَ يَدْعُـو ... لِيَغْفِرهَا وَقَـدْ صَـفَحَ الجَلِيـلُ
وَيَسْمَعُهُـمْ إِذَا صَلُّوا عَلَيْـهِ ... بِأُذُنَيْـهِ فَقَصِّـرْ يَـا مَـلُولُ
وَمَـنْ لَمْ يَعْتَقِدْ هَـذَا بِـطَـه ... يَقِيناً فَـهْوَ زِنْـدِيقٌ جَـهُولُ
عُبَيْـدٌ هَـيْتَمِـيٌ مُـسْتَجِيرٌ ... بِمَـنْ حُطَّتْ بِسَـاحَتِـهِ الحُمُـولُ
عَـلَيْـهِ اللهُ صَلَّى كُـلَّ وَقْتٍ ... مَـدِى الأَيَّامِ مَا شُدَّتْ حُـمُـولُ
وَآلٍ وَالصَّـحَابَةِ مَـا تَـدَانَى ... مِـنْ الأَقْطَارِ سَيْلٌ إِذْ يَسِيـلُ [1]

7/ الحافظ أبو الفتح محمد بن سيد الناس :

سِـرْ بِالظَّلاَمِ بِجَذْوَةٍ مِنْ أَضْلُعِي ... وإذا عدِمْتَ الـورْدَ حَسْبُكَ أدمُعـى
وصِلِ السُّرَى بِالسَّيرِ لاَ مُتَوَانِياً ... وَاجْفُ الكَرى مِنْ بَعْدِ لينِ المَضْـجَعِ
وَإِذا حـلَلْتَ بِطَـيْبَةٍ فَـلَكَ الهَنَـا ... فِيمَا حَلَلْتَ مِـنْ الجَنَـابِ الـمُمْرِعِ
وَادٍ يَهِيمُ بِـهِ الفُـؤَادُ مُـقدَّسٌ ... كَـمْ لِي لِبُعْدِى عَـنْهُ أَنَّـةُ مُوجَـعِ
فَانْشُرْ بِهِ نَشْرَ الرَّبِيـعِ تَـحِيَّتِى ... وابْثُثْ كمـا بُـثَّ السِّقامُ تَفَجُّعِى
واقرَا السَّـلامَ عَلَى النَبِيِّ فَطَالَمَا ... حَـمَّلْتُه نَسَـمَاتِ بـانِ الأجْـرَعِ
وَاحْبِسْ فُؤَادَكَ إِنْ تكنْ مِثْلِى فَمَا ... أَلْـقَى فُؤَادِى عِنْـدَ ذِكْـرَاهُ مَـعِى
هَذَا مَقَامُ الفَضْلِ فَاغْتَنِمْ مَـادِحـاً ... سَعَةَ المَجَالِ وَخُـبَّ فِيـهِ وَأَوْضِـعِ
وَارْفَعْ إِلَيْهِ مِنْ الذُّنُوبِ شَـكِيَّتِى ... وَانْدُبْ خُطَاىَ إِلى الخَطا وتَسَرُّعِـى
يَارَبِّ صَـلِّ عَلَـى النَّبِيِّ وآلِـهِ ... وَصِحَابِهِ مِنْ سَـاجِدِينَ وَرُكَّـعِ [2]

8/ الإمام أبو الخير محمد بن محمد الجَزَرِى :

يَـا طَـالِباً تِمْثَـالَ نَـعْلِ نَبِيِّـهِ ... هَا قَـدْ وَجَدتَّ إِلى اللِّقاءِ سَبِيلاَ
فَاجْعَلْهُ فَوْقَ الرَّأْسِ وَاخْضَعْ واعتَقِدْ ... وتَغَـالَ فِـيهِ وأَوْلِهِ التَـقْبِيـلاَ
مَنْ يَدَّعِى الْحُبَّ الصَحِيحَ فَإِنَّـهُ ... يُبْدِى عَلَى ما يَدَّعِيهِ دَلِـيلاَ [3]

9/ الإمام محمود الزَّمَخْشَرِى :

قَامَتْ لِتَمْنَعُنِى المَسِـيرَ تُمَاضِرُ ... أَنَّى لَهَـا وغِـرَارُ عَزْمِى بَـاتِرُ
إِنْ هَاجَـرَ الإِنْسَانُ عَنْ أَوْطَانِه ... فَالله أَوْلَى مَنْ إِلَـيْه يُـهَـاجَـرُ
مَاضٍ عَلَى الظَّلْماءِ يخْـبِطُها إلى ... بَلَدٍ أَضَـاءَ بِهِ السِّـرَاجُ الزَّاهِرُ
يَهْوِى إِلـى قَبْـرِ النبىِّ مُحَـمَّدٍ ... خَـبَباً كَمَـا رَفَّ الظَّلِيمُ النَّـافِـرُ

---

[1] الذخائر المحمدية ، ص ، 66 ، 67 ، 68 .
[2] المجموعة النبهانية ، ج 2 ، ص 273 ، 274 .
[3] المصدر السابق ، ج 3 ، ص 306 .

يَارَبِّ إِنّى أَسْـتَجِيـرُكَ فِـى الَّذِى ... نِـطْتُ الرَجَـاءَ بِهِ وأنتَ الخَائِـرُ
وَإِلَيْكَ أَرْغَـبُ فِى النُّهُوضِ بِهِمَّتِى ... حَتَّى أفِى بِجَـمِيعِ مَـا أَنَا نَاذِرُ [1]

10/ العلامة أبو بكر أحمد بن جَزِى :

أَقُولُ لِعَزْمِى أَوْ لِصَـالِحِ أَعْمَالِى ... ألاَ عِـمْ صَبَاحاً أَيُّهَا الطَّلَلُ البَالِي
أَلاَ لَيْتَ شِـعْرِي هَلْ تَـقُولُ عَزَائِمِى ... لِخَيلِى كُرِّى كَـرَّةً بَعْـدَ إِجْـــفَالِ
فَـأَنْزِلَ دَاراً لِلرَّسُـولِ نَـزِيلُهـــا ... قَلِيلُ الهُمُـومِ مَـا يُبِيتُ بَـــأَوْجَـالِ
فَطُوبَى لِنَفْسٍ جَاوَرَتْ خَيْرَ مُرْسَلٍ ... لِيَثْرِبَ أَدْنَى دَارِها نَظَـرٌ عَـالِى
وَمِنْ ذِكْرِهِ عِنْدَ القَبُولِ تَعطَّـرتْ ... صَبَاً وشَمَالٌ فِى مَنَازِلِ قُفَّالِ [2]

11/ العلامة عبد الرحمن بن خَلْدُون :

أسْرَفْنَ فِى هَجْـرِى وَفِى تَعْذِيبِى ... وَأَطَلْنَ مَـوْقِفَ عَبْرَتِى ونَحـيبِى
وَأَبَيْنَ يَوْمَ البَيْنِ وَقْفَةَ سَـاعَـــةٍ ... لِـوَدَاعِ مَشْـغُوفِ الفُؤادِ كَئِيبِ
لله عَـهْــدُ الظَّـاعِنِيـنَ وَغَـادَرُوا ... قَلْـبِى رَهِينَ صَـبَابَـةٍ وَوَجِيـبِ
غَرُبَتْ رَكَائِبُهُمْ وَدَمْـعِى سَـافِحٌ ... فَشَـرُقْتُ بَعْـدَهُمُ بِمَـاءِ غُرُوبِى
يَـا نَاقِـعاً بالـعَثْبِ غُلَّةَ شَـوْقِـــهِ ... رُحمَاكَ فِى عَـذْلِى وَفِى تَأْنِيبِى
مَا هَاجَنِى طَرَبٌ وَلاَ اعْتَادَ الجَوَى ... لَوْلاَ تَـذَكُّـــرُ مَنْـــزِلٍ وَحَـبِيـــبِ
حَـيْثُ النّبُـــوَّةُ آيُهَـا مَجْـــلوَّةٌ ... تَتْلُو مِـــنْ الآثَارِ كُـلَّ غَـــرِيبِ
سِـــرٌ غَرِيبٌ لَمْ يُحَجِّبَهُ الثَّـــرَى ... مَا كَـــانَ سِرُّ اللهِ بِـالْمَحْجُـوبِ
يَا سَيِّـدَ الرُسْـلِ الكِرَامِ ضَرَاعَـةٌ ... تَقْضِى مُنَى نَـفْسِى وَتُذْهِبُ حُـوبِى
قَصَّرتُ فِى مَدْحِـى فَإِنْ يَـكُ طَيِّبـاً ... فَبِمَا لِذِكْـرَكَ مِـنْ أَرِيـجِ الطِّيبِ
مَاذَا عَسَى يَبْغِى المُطِيلُ وَقَدْ حَـوَى ... فى مَدْحِـكَ القُرْءانُ كُلَّ مَـطِيبِ
يَـا هَـــلْ تُبَلِّغـنى اللَّيَالِى زَوْرَةً ... تُدْنِى عَلَّـــى الفَوْزَ بِالمَرْغُـــوبِ [3]

12/ الإمام مجد الدين أبو طه محمد بن يعقوب الفَيْرُوزْ آبَادِى :

هَلْ حَبْلُ عَزَّةَ بَعْدَ البَيْنِ مَوْصُولُ ... أَوْ بَارِقُ الوَصْلِ بَيْنَ البَيْنِ مَأْمُولُ
أَصْبَحْتُ بَيْنَ الْوَرَى بِالْحُبِ مُشْتَغِلاً ... مَا عِـشْتُ وَالنَّاسُ بِالدُّنْيَا مَشَاغِيـلُ
هَامَ الـفُؤَادُ وَدَامَ الْوَجْـدُ مِـنْ أَلَمِ ... مُسْـتَـعْـوَلِى فِيـهِ إِعْـوَالٌ وَتَعْوِيـلُ
وَهْوَ الْمُزِيلُ رَدَى وَهْوَ المُبِيدُ عِدَى ... وَهْـوَ المُفِيدُ نَدَى وَالْجَيْشُ مَفْلُـولُ
كَمْ بُدِّلَتْ بِـالدِّمَا حُـــمْراً أَسِنَّتُـــهُ ... وَمَـــا لِسُـــنَّتِهِ الـغَـرَّاءَ تَـبْدِيْـــلُ

---

[1] المصدر السابق ، ج 2 ، ص 110 ، 111 ، 113 .
[2] المصدر السابق ، ج 3 ، ص 248 ، 249 .
[3] المصدر السابق ، ج 1 ، ص 370 ، 371 ، 372 .

هَذَا الرَّسُـولُ الَّذِى كَانَتْ نُبُـوَّتُهُ ... وَطِينُ آدَمَ فِى الفِرْدَوسِ مَجْـبُولُ
هَذَا الَّذِى نَالَ عِنْدَ الله مَنْزِلَـــةً ... مَا نَالَهَا لَيْلَةَ المِعْـرَاجَ جِــبْرِيــلُ
هَذَا الَّـذِى تُفْتَحُ الجَنَّاتُ قَبْلُ لَـهُ ... إِذَا أَتَـاهَـا غَــداً وَالْبَـابُ مَقْفُــولُ
هَذَا الَّذِى هُوَ مَحْمُـودُ الخِصَالِ وَفِى ... كِلْتَا يَدَيْهِ لِـوَاءُ الحَمْدِ مَحْــمُــولُ
هَذَا الَّـذِى مَا لَهُ فِــى حِلْمِهِ شَبِهٌ ... هَذَا الَّذِى قَطَــرةٌ مِــنْ نَـيْلِـهِ نِيـلُ
وَالأَنبِيَاءُ بُـدُورٌ وَهْــوَ أَكْمَــلُهُم ... والْكُـلُّ تِيـجَانُ حُسْنٍ وَهْوَ أَكْلِيـلُ
لَـوْلاَه مَـا كَانَ لاَ مُـلْكٌ وَلاَ مَلَكٌ ... كَـلاَّ وَلاَ بَــانَ تَحْرِيـمٌ وَتَحْلِيــلُ
ثُـمَّ الصَّــلاةُ مَــعَ التَّسْلِيمِ دَائِمَةٌ ... عَـلَيْكَ مَــا دَامَ تَكبِيــرٌ وَتَــهْلِيــلُ
وَآلِــكَ الغُرِّ وَالأَصْــحَابِ قَاطِبَةً ... لاَ سِيَّمَـا قَوْمُكَ الشُّمُ البَهَالِيــلُ [1]

13/ إمام الأدب جمال الدين بن نَبَاتَة المصرى :

يَا دَارَ جِيرَتِنا بِسَـفْحِ الأَجْـرَعِ ... ذَكَـرَتْكِ أَفْـوَاهُ الغُيُـوْثِ الهُمَّعِ
شَقَّ الأَسَى قَلْبِى الصَّـرِيعَ فَـيَا لَـهُ ... بَيْتَاً أَبِتْ سُكْنَاهُ غَــيْرَ مُصَــرَّعِ
وَإِذَا المَطِىُّ بِـنَا بَلَـغْنَ مُحَــمَّـداً ... فَلَـهَا رِعَايَةُ خَيْرِ حَــقٌّ قَدْ رُعِـى
ذُو المُعْجِزَاتِ البَاقِيَاتِ وحَسْبُــهُ ... سُـوَرٌ مُسَوَّرَةٌ تَـصُـدُّ المُدَّعِى
كَـمْ مُـدَّعٍ نَظْمـاً يُحَــاوِلُ جُنَّــةً ... مَسْتُورَةً مِنْـهَا فَيَشْكُو مَـدَّعِى
قَالَ الكَلاَمِيُّونَ صَــرْفَةُ خَــاطِرٍ ... قُلْنَا وَنَثْرَةُ كَوْكَبٍ مُتَشَعْشِعِ
يَا سَـيِّدَ الخَـلْقِ الَّذِى مَدَحَتْهُ مِــنْ ... آىِ الكِتَابِ فَوَاصِــلٌ لَـمْ تُقْطَـعِ
مَـاذَا عَسَى المَدْحُ الطَهُور يُدِيرُ مِنْ ... كَأْسِ الثَّنَا بَـعْدَ الكِتَابِ المُتْرَعِ
بَعْدَ الحَـوَامِيمِ الَّتِى بِثَنَائِـهَا هَبَطَتْ ... إِلَـيْـكَ مِــنْ الـمَــحَلِّ الأَرْفَــعِ
أَرْجُـو لِفَهْمِى بِامْتِدَاحِكَ يَقْظَــةً ... مِنْ غَفْلَتِى وَشَهَادَةً فِى مَصْرَعِى [2]

14/ الشيخ أَبُو مَدْيَن المغربى :

قَـدْ زَادَ فِيكَ مِـنْ الغَـرَامِ تَلَهُّفِـى ... وَإِلَى مَـتَى هَـذَا الجـفا يَـا مُـتْلِفِى
فِى القَلْبِ نِيرَانُ الجَفَا قَدْ أُشْعِلَتْ ... فَـمَـتَى بِوَصْـلِكَ نَـارُ قَلْبِى تَنْطَـفِى
فَأَنَا المُقِيمُ عَلَى الهَوى إِذْ لَمْ أَحُلْ ... عَـنْ حُـبِّ مَنْ فَـاقَ الجَمَالَ اليُوسُفِى
فَـهُوَ النَّبِىُّ مُحَـمَّدٌ وَهْــوَ الَّذِى ... تُرْجَى شَـفاعتُه غَـداً فِى المَوْقِفِ
يَـا خَيْرَ مَبْعُـوثٍ وَأَكْـرَمَ شَافِـعٍ ... كُـنْ مُنْقِذِى مِـنْ هَـوْلِ يَوْمٍ مُرْجِـفِ
صَـلَّى عَلَيْكَ اللهُ يَـا خَيْرَ الوَرَى ... مَا لاَحَ بَرْقٌ فِى السَّمَاءِ وَمَا خَـفِى [3]

---

[1] المصدر السابق ، ج 3 ، ص 96 ، 97 ، 107 .
[2] المصدر السابق ، ج 2 ، ص 274 ، 275 ، 277 ، 279 .
[3] المصدر السابق ، ج 2 ، ص 306 ، 307 .

15/ الشيخ الأكبر محى الدين بن العربى :

أَلاَ بِأبِى مَنْ كَانَ مَلْكَاً وَسَيِّداً ... وَآدمُ بَيْنَ المَاءِ والطِّينِ وَاقِفُ
فَذَاكَ الرَّسُولُ الأَبْطَحِىُّ مُحَمَّدٌ ... لهُ فى العُلاَ مَجْدٌ تَلِيدٌ وَطَارِفُ
أَتَى بِزَمَانِ السَّعْدِ فى آخِرِ المَدَى ... وَكَانَتْ لَهُ فى كُلِّ عَصْرٍ مَوَاقِفُ
أَتَى لِإِنْكِسَارِ الدَّهْرِ يَجْبُرُ صَدْعَهُ ... فَأَثْنَتْ عَلَيْهِ أَلْسُنٌ وَعَوَارِفُ
إِذَا رَامَ أَمْراً لاَ يَكُونُ خِلاَفُهُ ... وَلَيْسَ لِذَاكَ الأَمْرِ فى الكَوْنِ صَارِفُ [1]

16/ الإمام ابن دقيق العيد :

يَا سَائِراً نَحْوَ الحِجَازِ مُشَمِّرَا ... إِجْهَدْ فَدَيْتُكَ فِى المَسِيرِ وَفِى السُّرى
أُقْصُدْ إِلَى حَيْثُ المَكَارِمُ وَالنَّدَى ... يَلْقَاكَ وَجْهُهُما مُضِيئاً مُقْمِرَا
قِفْ بِالْمَنَازِلِ وَالمَنَاهِلِ مِنْ لَدُنْ ... وَادِى قُبَاءَ إِلَى حِمَى أُمِّ القُرَى
وَتَوَخَّ آثَارَ النَّبِيِّ فَضَعْ بِهَا ... مُتَشَرِّفاً خَدَّيْكَ فِى عَفْرِ الثَّرَى
وَإِذَا رَأَيْتَ مَهَابِطَ الوَحْيِ الَّتِى ... نَشَرَتْ عَلَى الآفَاقِ نُوراً أَنْوَرَا
فَاعْلَمْ بِأَنَّكَ مَا رَأَيْتَ شَبِيهَهَا ... مُذْ كُنْتَ فِى مَاضِى الزَّمَانِ وَلاَ تَرَى
وَلَقَدْ أَقُولُ إِذَا الكَوَاكِبُ أَشْرَقَتْ ... وَتَرَقَّعَتْ فِى مُنْتَهَى شَرَفِ الذُّرَى
لاَ تَفْخَرَنْ زُهْرٌ فَإِنَّ مُحَمَّداً ... أَعْلَى عُلاً مِنْهَا وَأَشْرَفُ جَوْهَرَا
يَا خَاتِمَ الرُّسْلِ الكِرَامِ نَدَاءُ مَنْ ... وَافَى إِلَيْكَ بِمَدْحِهِ مُسْتَعْذِرَا
أَنَا ضَيْفُكَ المَدْعُوُّ يَوْمَ مَعَادِنَا ... المُرْتَجِى فَأَجْعَلْ قِرَاىَ الكَوْثَرَا [2]

17/ الإمام البوصيرى :

بِمَدْحِ المُصْطَفَى تَحْيَا القُلُوبُ ... وتُغْتَفَرُ الخَطَايَا وَالذُّنُوبُ
وَأَرْجُو أَنْ أَعِيشَ بِهِ سَعِيداً ... وأَلْقَاهُ وَلَيسَ عَلَىَّ حُوبُ
مَنَاصِبُهُ السَّنِيَّةُ لَيْسَ فِيهَا ... لِإِنْسَانٍ وَلاَ مَلَكٍ نَصِيبُ
رَحِيبُ الصَّدْرِ ضَاقَ الكَوْنُ عَمَّا ... تَضَمَّنَ ذَلِكَ الصَّدْرُ الرَّحِيبُ
لِجُودِ المُصْطَفَى مُدَّتْ يَدَانَا ... وَمَا مُدَّتْ لَهُ أَيدٍ تَخِيبُ
صَلاَةُ اللهِ مَا سَارَتْ سَحَابٌ ... عَلَيْهِ وَمَا رَسَا وَثَوَى عَسِيبُ [3]

18/ الشيخ عبد الرحيم البُرَعِى (اليمنى) :

مَتَى يَسْتَقِيمُ الظِّلُّ وَالعُودُ أَعْوَجُ ... وَهَلْ ذَهَبٌ صِرْفٌ يُساويهِ بَهْرَجُ
وَمَنْ رَام إِخْرَاجَ الزَّكاةِ وَلَمْ يَجِدْ ... نَصَاباً يُزَكِّيهِ فَمِنْ أَيْنَ يُخْرِجُ

---

[1] المصدر السابق ، ج 2 ، ص 302 .
[2] المصدر السابق ، ج 2 ، ص 114، 115، 116.
[3] المصدر السابق ، ج 1 ، ص 304 ، 309 .

هِيَ النَّفْسُ وَالدُّنْيَا وَإِبْلِيسُ وَالهَوَى ... بِطَاعَتِهِمْ عَنْ طَاعَةِ اللهِ أُزْعَجُ
وَأَرْتَاحُ مِنْ أَرْوَاحِ أَطْيَابِ طَيْبَةٍ ... إِذِ المِسْكُ فِي أَرْجَائِهَا يَتَأَرَّجْ
نَبِيٌّ تَغَارُ الشَّمْسُ مِنْ نُورِ وَجْهِهِ ... بَهِيٌّ نَقِيُّ الثَّغْرِ أَحْوَرُ أَدْعَجُ
تَزِيدُ بِهِ الأَيَّامُ حُسْناً وَيَزْدَهِي ... بِهِ الدِّينُ وَالدُّنْيَا بِهِ تَتَبَرَّجُ
مَكَارِمُ أَخْلاَقٍ وَحُسْنُ شَمَائِلٍ ... وَشِيمَةُ جُودٍ بَحْرُهُ مُتَمَوِّجُ
فَصَلِّ عَلَيْكَ اللهُ مَا هَبَّتِ الصَّبَا ... وَمَا لاَحَ فَجْرٌ نُورُهُ مُتَبَلِّجُ [1]

19/ الإمام يحى الصَّرْصَرِى :

ذَكَرَ العَقِيقَ فَهَاجَهُ تِذْكَارُهُ ... صَبٌّ عَنِ الأَحْبَابَ شَطَّ مَزَارُهُ
وَهَفَتْ إِلى سَلَعٍ نَوَازِعُ قَلْبِهِ ... فَتَضَرَّمَتْ بَيْنَ الجَوَانِحِ نَارُهُ
يَحْمِي النَّزِيلَ وَكَيْفَ لاَ يَحْمِي وَقَدْ ... حُفَّتْ بِجَاهِ المُصْطَفَى أَقْطَارُهُ
سُبْحَانَ مَنْ جمع المَحَاسِنَ كُلَّها ... فِيهِ فَتَمَّ بَهَاؤُهُ وَفَخَارُهُ
خَتَمَ النُّبُوَّةَ فَهْوَ دُرَّةُ تَاجِهَا ... وَطِرَازُ حُلَّتِهَا النَّمِينُ عِيارُهُ
يَا مَنْ تَسَاوَى فى المَكَارِمِ وَالنَّدَى ... كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينُهُ وَيَسَارُهُ
أَنْتَ المَلِيُّ بِكَشْفِ ضُرٍّ مُخَلَّفٍ ... ذِى عُسْرَةٍ بِنَدَى يَدَيْكَ يَسَارُهُ
جَعَلَ الثَّنَاءَ عَلَى عُلاَكَ شِعَارَهُ ... فَحَلَتْ بِهِ وَتَعَطَّرَتْ أَشْعَارُهُ
يَرْجُو النَّجَاةَ بِفَضْلِ جَاهِكَ فى غدٍ ... فى مَوْقِفٍ يَخْشَى التَّوَى أَبْرَارُهُ [2]

20/ العارف بالله الشيخ عبد الغنى النَّابُلُسِى :

هَلْ فِي البُرُوقِ عَنِ الأَحْبَابِ تَعْلِيلُ ... لاَ وَالذَّى مَا لَهُ فى الحُكْمِ تَعْلِيلُ
قَدْ أَصْبَحَ القَلْبُ مَطْوِياً عَلَى حُرَقٍ ... وَلِلْمَدَامِعِ تِهطَالٌ وَتَسْيِيلُ
يَا سَائِقَ الظَّعْنِ بَلِّغْ أَهْلَ كَاظِمَةٍ ... عَنِّى السَّلاَمَ فَفِى التَّبْلِيغِ تَوْصِيلُ
وَاشْرَحْ لَهُمْ بَعْضَ مَا أَلْقَى وَقُلْ دَنِفٌ ... عَلَى مَوَائِدِ حُبٍّ فِيهِ تَطْفِيلُ
طَهَ الَّذِى عِنْدَمَا قَدْ جَاءَنَا بَطَلَتْ ... بِشَرْعِهِ الحَقّ هَاتِيكَ الأَبَاطِيلُ
وَهْوَ النَّبِيُّ الَّذِى مَا مِثْلَهُ أَحَدٌ ... لَهُ مِنَ اللهِ إِكْرَامُ وَتَبْجِيلُ
صَلاَةُ رَبِّى عَلَيْهِ دَائِماً أَبَداً ... مَعَ السَّلاَمِ الَّذِى لِى فِيهِ تَطْوِيلُ
وَآلِهِ الغُرِّ أَرْبَابِ الفَخَارِ ... وَمَنْ هُمُ الضَّرَاغِمُ والشُّمُّ البَهَالِيلُ
وَصَحْبِهِ السَّادَةُ الأَمْجَادُ أَهْلُ تُقَىً ... مَا إِنْ لَهُمْ عَنْ صَوَابِ القَوْلِ تَحْوِيلُ
وَالتَّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ مَشَايِخِنا ... وَمَنْ لَهُمْ شَرَفٌ فِينَا وَتَفْضِيلُ
طُولَ المَدَى مَا سَرَى رَكْبُ الحِجَازِ وَمَا ... يَوماً لِصَعْبِ الأَمَانِى كَانَ تَسهِيلُ [3]

---

[1] المصدر السابق ، ج 1 ، ص 451 ، 452 ، 453 .
[2] المصدر السابق ، ج 2 ، ص 82 ، 83 ، 84 ، 86 ، 87.
[3] المصدر السابق ، ج 3 ، ص 124، 125 ، 126.

21/ العلامة الشيخ يوسف بن إسماعيل النَّبَهَانِى :

لِطَـيْبَةَ مِيثَاقٌ عَلَىَّ قَـدِيـمُ ... إذا ذُكِرَتْ يَوْمـاً لَدَىَّ أهـيمُ
وَمَـا ذَاكَ إلّا أنَّ فـيهَا مُحَـمَّداً ... رَسُولَ الهُدَى رُوحَ الوُجُودِ مُقِيمُ
نَبِىَّ الهُدَى يَـا أَعْـظَمَ النَّاسِ نَـائِـلاً ... ومَنْ جُـــودُهُ فى العَـالَمِينَ عَمِيمُ
ومَنْ هُوَ فى الدَّارَيْنِ خَيْرُ وَسِيلَةٍ ... شَـفِيعٌ لَدَى الرَّبِّ الكَـرِيمِ كَرِيمُ
تَدَارَكْ أَغِثْنِى فِى أُمُورِى فَإِنَّـنِى ... عَرَتْنِى هُـمُـومٌ مَسُّـهُنَّ أَلِـيمُ
وَمَا ذِكْرُ تَفْصِـيلاَتِها لَـكَ لاَزِمٌ ... فَأَنْتَ بِأَسْـرَارِ الغُيُوبِ عَلِيمُ [1]

أما العلماء الذين شغلهم التصنيف فى العلم وأوقفوا كل وقتهم ليخرجوا لنا كنوز العلم فقد آتاهم الزمان سويعات ليستمعوا ويرووا فيها مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ولا سيما بردة الإمام البوصيرى فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم التى رواها أو استمع لها كل من : [2]

الإمام أبو حيان الأندلسى صاحب تفسير (البحر المحيط) ، الإمام الحافظ ابن سيد الناس صاحب السيرة الشهيرة (عيون الأثر) ، الإمام الفقيه سلطان العلماء العز بن عبد السلام صاحب كتاب (قواعد الأحكام) ، الإمام الحافظ زين الدين العراقى ، الإمام المحدث الفقيه عمر بن على المعروف بابن الملقن ، الإمام المجتهد عمر بن رسلان البلقينى ، الإمام المحدث الفقيه زكريا الأنصارى ، الإمام الحافظ جلال الدين السيوطى ، الإمام الحافظ ابن حجر العسقلانى ، و الإمام مجد الدين الفيروز آبادى .

وقد شرح قصيدة البردة مجموعة من العلماء ، منهم : [3] العلامة المحقق جلال الدين المحلى صاحب تفسير القرءان ، الحافظ الحجة الشيخ زكريا الأنصارى ، الإمام الحافظ شهاب الدين القسطلانى (شارح صحيح البخارى) واستعملها فى كتابه المواهب اللدنية وطرز كتابه هذا بها ، وسَبَّعها العلامة البيضاوى صاحب التفسير المشهور ، واستعملها العلامة الحلبى فى السيرة الحلبية ، وغيرهم من العلماء ممن لا يسعنا المجال لحصرهم . فرواية هؤلاء العلماء لبردة المديح وحفظهم واستماعهم وشرحهم ونقلهم لها إقرار منهم ودليل على اعترافهم بمشروعية المدح النبوى . أفترى أن كل هؤلاء العلماء الأجلاء قد أجمعوا على ضلالة ؟!!!

ولقد تأسى شعراء المديح فى السودان بسلفهم الصالح فكان المدح النبوى وما زال هو إحدى دوائر معارف السيرة النبوية فى السودان .

---

[1] المصدر السابق ، ج 4 ، ص 127 .
[2] نحت حديد الباطل وبرده بأدلة الحق الذابة عن صاحب البردة ، للعارف بالله تعالى داؤود بن سليمان النقشبندى ، ص 10 ، 11 ، 12 .
[3] المصدر السابق ، ص 20 ، 21 .

فنجد فى البيئة السودانية أن معجزاته صلى الله عليه وسلم وزهده وجهاده الكفار وأسماء الصحابة السابقين للإسلام قد انتشرت بين الخاص والعام خلال المدائح النبوية سواء كانت باللغة العربية الفصحى أو العامية . والتعرف على سيرة النبى صلى الله عليه وسلم ومواقفه وغزواته وجهاده ومعجزاته وغيرها مما يتعلق به صلى الله عليه وسلم وبأصحابه أمر مهم ، بل واجب لأنه هو قدوتنا وكيف نقتدى به إذا لم نتعرف على حياته ؟ فجزى الله جميع من أوصل حالة أو موقفاً من مواقفه صلى الله عليه وسلم بأى صورة (لغة عربية فصحى أو عامية) فانظر إلى هذا المادح كيف بَيَّن زهده صلى الله عليه وسلم وترفعه عن هذه الدنيا وزهرتها فها هو البوصيرى يصور لنا ذلك فى لغة عربية فصيحة :

وَرَاوَدتْهُ الجِبَالُ الشُّمُّ مِنْ ذَهَبٍ عَنْ نَفْسِهِ فأرَاها أيَّمَا شَمَمِ [1]

فقال المادح ابن أبى شريعة ـ باللغة العامية السودانية ـ :

جاتو الجِمَالْ مَحَمُولَه مَالْ ذَهباً خَزِينا
طه ابْ جَمَالْ مَالِيهَا مَالْ قَلْبُو الرَّزِينا

وأمثالها كثيرة ـ باللغتين الفصحى والعامية ـ فى أشعار حاج الماحى وود سعد وعبد الملك وحياتى والسادة آل أبى كساوى والشيخ عبد الله بن يونس والسيد جعفر الميرغنى والشيخ عبد المحمود والشيخ قريب الله والشريف يوسف الهندى والشيخ عبد الباقى المكاشفى والشيخ الصابونابى والشيخ البرعى وغيرهم ممن لا يحصر لهم عدد فجزاهم الله خير الجزاء . فلا تجد أحدًا من العامة إلا و يعرف شيئاً عن سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل ذلك بفضل المديح النبوى وإخلاص من أنشأه ابتغاءً لمرضاة الله ورسوله ، فمن عارض هذا التراث وهذا الفيض فقد عارض صاحب السيرة والشمائل الكريمة ، فالحذر كل الحذر أن تقف حجر عثرة أمام انتشار سيرة النبى صلى الله عليه وسلم خاصة فى هذا الزمان الذى كثر فيه الفساد بشتى سبله وغزا بلاد المسلمين خاصة شبابهم ، فعلينا أن نسعى بكل وسيلة ونُسَخِّر كل ما نملك لنشر فضائل النبى صلى الله عليه وسلم وأخلاقه وقيم الإسلام وأهدافه النبيلة فى إسعاد البشرية وإخراجها من ظلمات الانحراف فى العقائد والأخلاق ، فيا شباب الإسلام أعكفوا دراسة وفهماً واملأوا الساحة بالسيرة النبوية نظماً ونثراً لنبرهن ونثبت أن فطرة الإسلام هى الفطرة السليمة المستقيمة الصالحة لكل زمان ومكان ، لكل بنى آدم لا فرق بين أبيض وأسود ولا حر و عبد ولا ذكر وأنثى إلا بالتقوى (فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) [2] .

---

[1] قصيدة البردة ، ص 13 .
[2] سورة الروم ، الآية رقم : 30.

القسم الثانى :
أدلة مشروعية المدح والمديح

ذكره ومدحه صلى الله عليه وسلم
فى القـــرءان الكـــريم

إن كتاب الله مملوءٌ بمدحه صلى الله عليه وسلم وذكر محاسنه وصفاته الجميلة صراحة وإشارة لمن كان لـه قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، وكـان يكفى فى مدحه (وإنك لعلى خلق عظيم) [1] ومَنْ وُصِفَ بالخلق العظيم لم يُتْرَك شئ من الفضـائل والشـمائل الكريمـة إلا وكان له الحظ الأوفر فيها، بل هو صلى الله عليه وسلم منبع الأخلاق والصفات الحميدة . وَمِنْ مدحه صلى الله عليه وسـلم (لقد جاءكم رسـول من أَنْفَسِـكُم) [2] و قرأها الجمهور بالضم (أَنْفُسِكُم) أما القراءة الأولى فقد ذكرها الحافظ جلال الدين السيوطى فى (الخصائص الكبرى) حيث قال : أخرج ابن مردويه عن أنس قال : قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (لقد جاءكم رسـول من أَنْفَسِـكُم) بفتح الفاء وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (أنا أنفسكم نسباً وصهراً وحسباً ليس فى آبائى من لدن آدم سفاح كلنا نكاح) [3] وفى حاشية الصاوى على الجلالين : قرئ (من أَنْفَسِكُم) بفتح الفاء من النفاسة ، والمعنى جاءكم رسولٌ من أشرفكم وأرفعكم قدراً ، لما فى الحديث : (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريش من كنانة ، واصطفى بنى هاشم من قريش ، واصطفانى من بنى هاشم ، فأنا خيار من خيار من خيار) [4] وقال القرطبى : رُوِيَت عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن فاطمة رضى الله عنها أى جاءكم رسول من أشرفكم وأفضلكم ، من قولك : شئ نفيس إذا كان مرغوباً فيه . وقيل من أَنْفَسِكُم ، أكثركم طاعة [5] أمَّا قراءة الجمهور بالضم فقد قال القاضى عياض فى شأنها : أعلم الله تعالى المؤمنين أو العرب أو أهل مكة أو جميع الناس على اختلاف المفسرين مَنِ المُوَاجَهُ بهذا الخطاب أنه بعث فيهم رسولاً من أَنْفُسِهِم يعرفونه ويتحققون من مكانه ويعلمون صدقه وأمانته فلا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة لهم لكونه منهم [6] . ثم قال : وكونه ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أشرفهم وأرفعهم وأفضلهم على قراءة الفتح هذه نهاية المدح [7] . وقال جعفر بن محمد رضى الله عنهما : علم الله تعالى عجز خلقه عن طاعته فَعَرَّفَهُم ذلك لكى يعلموا أنهم لا ينالون الصفو من خدمته ، فأقام بينه وبينهم مخلوقاً من جنسهم فى الصورة ألبسه من نعته الرأفة والرحمة وأخرجه إلى الخلق سفيراً

---

[1] سورة القلم ، الآية رقم : 4.
[2] سورة التوبة ، الآية رقم : 128.
[3] الخصائص الكبرى، تأليف الإمام الحافظ أبى الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبى بكر السيوطى،ج 1، ص 66 .
[4] حاشية العلامة الصاوى على تفسير الجلالين ، ج 2 ، ص 179 .
[5] تفسير القرطبى ، ج 8 ، ص 191 .
[6] الشفاء بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم ، تأليف القاضى أبى الفضل عياض بن موسى اليحصبى الأندلسى ، ج 1 ، ص 8 ، 9.
[7] المصدر السابق ،ج 1 ، ص 9 .

صادقاً وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته فقال تعالى : (من يطع الرسول فقد أطاع الله) [1] وقال تعالى : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) [2] . قال أبو بكر محمد ابن طاهر: زَيَّنَ الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم بزينة الرحمة فكان كونه رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة للخلق ، فمن أصابه شئ من رحمته فهو الناجى فى الدارين من كل مكروه ، والواصل فيهما إلى كل محبوب [3] . فكانت صلى الله عليه وسلم حياته رحمة ووفاته رحمة كما قال صلى الله عليه وسلم : (حياتى خير لكم تحدثون وتحدث لكم ، ووفاتى خير لكم ، تعرض علىّ أعمالكم ، فما رأيت من خير حمدت الله ، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم) [4] . كما قال صلى الله عليه وسلم : (إن الله عز وجل إذا أراد رحمة أمة من عباده ، قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطاً وسلفاً بين يديها) [5] . وقال تعالى مقسماً بالنجم وفى بعض التفاسير أن النجم هو سيدنا
محمد صلى الله عليه وسلم [6] فقال تعالى : (والنجم إذا هوى * ما ضل صاحبكم وما غوى) [7] أى ماضل عن طرق الهداية ولا حاد عن نهج الاستقامة ولا اعتقد باطلا، أى ولا تجدون أدنى شئ من المعايب والمآخذ لكى تعيرونه بها (فإنهم لا يكذبونك ولِكنَّ الظالمين بآيات الله يجحدون) [8]. (وما ينطق عن الهوى) [9] أى لا يتكلم عن هوى نفس ورأى شخصى ورغبة خاصة وغرض ذاتى. ولأنه بعيد كل البعد عن الهوى و النفس والشيطان ، بل هو ينطق بالحق والصواب وهو مبلغ عن حضرة ربه عزّ وجل ، و (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى) [10] أكبر دليل على شهادة المولى عزّ وجل بصدق رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأكبر برهان على تبليغه صلى الله عليه وسلم لما يوحى إليه ، فكمال الدين به وإتمام النعمة بسببه صلى الله عليه وسلم . (إن هو إلا وحي يوحى) [11] أى لا يتكلم إلا بأمر الله ووحيه [12] . ولو أخذنا فى نقل هذه النصوص والآيات لما وسعنا كتاب ، ولما أسعفنا قلم ، ولضاق الوقت ونحن مازلنا على بُعدٍ من شاطئ هذا البحر فضلاً عن خوضه ، فلنكتفى بهذه الإشارات والعبارات لمن نَوَّر الله قلبه ولمن أراد أن يذَّكَّر أو أراد شكورا .

---

[1] سورة النساء ، الآية رقم : 80 .
[2] سورة الأنبياء ، الآ ية رقم : 107 .
[3] الشفاء ، ج 1 ، ص 9 ، 10 .
[4] مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، ج 8 ، ص 427 .
[5] أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب إذا أراد الله رحمة أمة قبض نبيها قبلها ، عن أبى موسى رضى الله عنه .
[6] أنظر : تفسير القرطبى ، ج 17 ، ص 56 ـ حاشية العلامة الصاوى على تفسير الجلالين ، ج 4 ، ص 135 .
[7] سورة النجم ، الآيتان رقم : 1 ، 2.
[8] سورة الأنعام ، الآية رقم : 33.
[9] سورة النجم ، الآية رقم : 3.
[10] سورة المائدة ، الآية رقم : 3.
[11] سورة النجم ، الآية رقم : 4.
[12] نقلاً عن كتاب : الإنصاف لمدح كامل الأوصاف ، تأليف السمؤال خلف الله القريش ، ص 16 . بتصرف .

مدحـــه صلى الله عليه وســـلم
فى الكتب الســـماوية المنزلة

لله در البوصيرى حين يقول :

أَنْتَ مِصْـــــبَاحُ كُلِّ فَضْـــــلٍ فَمَا تَصْدُرُ إلا عَنْ ضَوْئِكَ الأَضْوَاءُ
مَا مَضَتْ فَتْرَةٌ مِنَ الرُّسْـــل إلّا بَشَّـــــرَتْ قَوْمَهَا بِكَ الأَنْبِـيَاءُ [1]

فلنأخذ بعض ما ورد من مدحه صلى الله عليه وسلم فى التوراة والإنجيل والزبور على سبيل المثال لا الحصر . قال تعالى : (الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم) [2] . وقال تعالى : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع) [3] .

عن عطاء بن يسار رضى الله عنه قال : (لقيت عبد الله ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قلت أخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة . قال : أجل ، والله إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن : (يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً) وحرزاً للأميين ، أنت عبدى ورسولى ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولاسخاب فى الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله تعالى حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لاإله إلا الله ، وَيُفْتَحُ به أعينٌ عميٌ ، وآذان صمٌ ، وقلوبٌ غلفٌ) [4] . وأخرج ابن حاتم وأبو نعيم عن وهب بن منبِّه قال : (أوحى الله إلى أشعياء إنى باعثٌ نبياً أمياً أفتح به أذاناً صماً وقلوباً غلفاً وأعيناً عمياً ، مولده بمكة ومهاجره بطيبة وملكه بالشام ، عبدى المتوكل المصطفى المرفوع الحبيب المتحبب المختار ، لا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ويغفر ، رحيماً بالمؤمنين يبكى للبهيمة المثقلة ويبكى لليتيم فى حجر الأرملة ، ليس بفظٍ ولا غليظ ولا سخاب فى الأسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال بالخَنا ـ الفحش فى الكلام ـ لو يمر إلى جانب السراج لم يطفئه من سكينته ، ولو يمشى على القصب الرعراع - يعنى اليافع ـ لم يسمع

---

[1] قصيدة الهمزية ، ص 2 .
[2] سورة الأعراف ، الآية رقم : 157.
[3] سورة الفتح ، الآية رقم : 29.
[4] أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب البيوع ، باب كراهية الصخب فى الأسواق .

من تحت قدميه ، أبعثه مبشـراً نذيراً ، أسـدده لكل جميل وأهب لـه كل خـلق كـريم ، أجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقولـه ، والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمغفرة والمعروف خلقه ، والعدل سيرته والحق شريعته والهدى إمامه والإسلام ملته وأحمد اسمه ، أهدى به من بعد الضلالة ، وأعلم به بعد الجهالة ، وأرفع به بعد الخمالة ، وأسمى به بعد النكره ، وأكثر به بعد القلة ، وأغنى به بعد العيلة ، وأجمع به بعد الفرقة ، وأؤلف به بين قلوب وأهواء مشتته وأمم مختلفه ، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر وتوحيداً بى وإيماناً بى وإخلاصاً لى وتصديقاً لما جاءت به رسلى ، وهم رعاة الشمس طوبى لتلك القلوب والوجوه والأرواح التى أخلصت لى ، همهم التسبيح والتكبير والتحميد والتوحيد فى مساجدهم ومجالسهم ومضاجعهم ومتقلبهم ومثواهم ..... فمن أدركهم فلم يؤمن بكتابهم ولم يدخل فى دينهم وشريعتهم ، فليس منى وهو منى برئ...) [1] . ذَكَرَ وهب بن منبِّه فى قصة داوود النبى صلى الله عليه وسلم وما أوحى الله إليه فى الزبور (يا داوود إنه سيأتى من بعدك نبى اسمه أحمد ومحمد صادقاً نبياً ، لا أغضب عليه أبداً ، ولا يعصينى أبداً ، وقد غفرت لـه قبل أن يعصينى ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وأمته مرحومة أعطيتهم من النوافل مثل ما أعطيت الأنبياء ، وأفترضت عليهم الفرائض التى افترضت على الأنبياء والرسل ، حتى يأتونى يوم القيامة ونورهم مثل نور الأنبياء ، وذلك أنى افترضت عليهم أن يتطهروا لى لكل صلاة كما افترضت على الأنبياء قبلهم وأمرتهم بالغسل...) [2] . وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن موسى بن عمران عليه السلام كان يمشى ذات يوم فى الطريق فناداه الجبار جل جلاله .... يا موسى ابن عمران نبِئّ بنى إسرائيل إنه من لقينى وهو جاحد بمحمد أدخلته النار ولو كان إبراهيم خليلى وموسى كليمى ، قال : ومَنْ محمد ؟ قال يا موسى : وعزتى وجلالى ماخلقت خلقاً أكرم علىّ منه ، كتبت اسمه مع اسمى فى العرش قبل أن أخلق السموات والأرض والشمس والقمر بألف سنة ، وعزتى وجلالى إن الجنة محرمة على جميع خلقى حتى يدخلها محمد وأمته . قال موسى : ومَنْ أمة محمد ؟ قال : الحمادون يحمدون الله صعوداً وهبوطاً وعلى كل حال ، يشدون أوساطهم ويطهرون أطرافهم ، صـائمون بالنهار، رهباناً بالليل ، أقبل منهم اليسير وأدخلهم الجنة بشهادة أن لا إله إلا الله . قال : فاجعلنى نبى تلك الأمة . قال : نبيها منها . قال : إجعلنى من أمة ذلك النبى . قال : استقدمت واستأخروا يا موسى ، ولكن سأجمع بينك وبينه فى دار الجلال) [3] .

---

[1] نقلاً عن كتاب : المدح النبوى بين الغلو والإنصاف ، ص 154 ، 155 ، 156 .
[2] دلائل النبوة ، تأليف الإمام الحافظ أبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى ، ج 1 ، ص 282 .
[3] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، تأليف الحافظ أبى نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهانى ، ج 3 ، ص 376 .

إقراره صلى الله عليه وسلم لمن مدحه

أعلم يا أخي وفقنا الله وإياك أن السنة النبوية تؤخذ من قولـه صلى الله عليه وسلم وفعله وتقريره وقد أقرّ صلى الله عليه وسلم المديح ، وإليك مثال ذلك :ـ

قال صاحب (المواهب اللدنية) وأما شعراؤه ـ عليه الصلاة والسلام ـ الذين كانوا يَذُبُّون عن الإسلام : فكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت [1] وقال ابن الأثير فى (أسد الغابة) قال ابن سيرين : كان شعراء النبى صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة ، فكان كعب ابن مالك يخوفهم الحرب ، وكان حسان يقبل على الأنساب ، وكان عبد الله ابن رواحة يعيرهم بالكفر [2] . فنجد هؤلاء وغيرهم قد أنشدوا الشعر بين يديه ولم يقل أحثوا عليهم التراب أو أمنعوهم من هذا ، بل دعا لبعضهم بالتأييد بروح القدس والبعض بالتثبيت والبعض أجزل لهم العطاء والبعض مَنَّ عليهم بالعفو بعد إهدار الدماء ، ودعا للبعض بنضارة الفم وحفظ هيئته ، فلنذكر على سبيل المثال لا الحصر قصيدة سيدنا العباس رضى الله عنه التى أنشدها أمام المصطفى صلى الله عليه وسلم كما وردت فى (المواهب اللدنية) :

قال العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله أريد أن أمتدحك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (قل لا يفضض الله فاك) فأنشأ يقول :

مِـنْ قَبْلِهَا طِبْتَ فِى الظِّلاَلِ وَفِـى ... مُسْتَـوْدَعٍ حَيْـثُ يُخْصَـفُ الوَرَقُ
ثُـمَّ هَبَـطْـتَ البِـــلاَدَ لاَبَشَــرٌ ... أَنْتَ وَلاَ مُضْـــغَةٌ وَلاَعَـــلَقُ
بَـلْ نُطْـفَةٌ تَـرْكَبُ السَّـــفِينَ وَقَدْ ... أَلْجَـمَ نَسْـــراً وَأَهْلَـهُ الغَـــرَقُ
تُنْقَلُ مِـنْ صَـــالِبٍ إِلَـى رَحِـــمٍ ... إِذا مَضَى عَـــــالَمٌ بَـدَا طَبَقُ
وَرِدْتَ نَـارَ الخَـــلِيـــلِ مُكْتَتِـماً ... فِـى صُلْبِهِ أَنْـتَ كَيْفَ يَحْـتَـرِقُ
حَتَّى احْتَوَى بَيْتَكَ المُهَيْمِـنُ مِـنْ ... خِـنْدَفٍ عَلْـيَـاءَ تَحْـتَهَا النُّـطُقُ
وَأَنْتَ لَمَّا وُلِدْتَ أَشْرَقَتْ الأَرضُ ... وَضَـــاءَتْ بِـنُـــورِكَ الأُفُـــقُ
فَنَحْنُ فِـــى ذَلِكَ الضِّـــيَاءِ وَفِـى ... النُّورِ وَسُـبْلِ الرَّشَادِ نَحْـتَرِقُ [3]

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع لحسان منبراً فى المسجد يقوم عليه يهجو من قال فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن روح القدس مع حسان ما نافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) [4] . وقد أفردنا

---

[1] شرح المواهب ، ج 5 ، ص 75 .
[2] أسد الغابة ، ج 4 ، ص 248 .
[3] شرح المواهب ، ج 4 ، ص 104 .
[4] أخرجه أبوداوود فى سننه ، كتاب الأدب ، باب ما جاء فى الشعر ، عن السيدة عائشة رضى الله عنها.

باباً كاملاً تناولنا فيه بعضاً من شعر حسان وإقرار النبى صلى الله عليه وسلم له وذلك نسبة لأنه من أبرز الصحابة الذين نظموا شعراً فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم .

أما إقراره صلى الله عليه وسلم لمدحه والضرب عليه بالدفوف فعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم مر ببعض المدينة . فإذا هو بجوارٍ يضربن بدفهن ويتغنين ويقلن :

نَحْنُ جَـوَارٍ مِنْ بَنِى النَّجَّارِ يَاحَـبَّذَا مُحَـمَّدٍ مِنْ جَـارِ

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : (الله يعلم إنى لأحبكن) [1] .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شئ وصعدت ذوات الخدور الأجاجير ـ سطوح المنازل ـ عند قدومه يقلن :

طَلَعَ البَدْرُ عَلَـيْنَا مِنْ ثَنِيَّـاتِ الـوَدَاعِ
وَجَبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا مَا دَعَـا لله دَاعِ
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع [2]

ومن إقراره المدح بين يديه صلى الله عليه وسلم أيضا ما أخرجه الترمذى فى الشمائل المحمدية من حديث أنس رضى الله عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل مكة فى عمرة القضاء وابن رواحة يمشى بين يديه وهو يقول :

خلوُّ بَنِى الكُفَّارِ عَنْ سَـبِيلِهِ اليَـوْمَ نَضْرِبكُمْ عَلَى تَنْزِيلِـهِ
ضَرْباً يُزِيلُ الهَامَ عَنْ مَقِـيلِهِ وَيُذْهِـلُ الخَلِيـلَ عَـنْ خَلِيلِهِ

فقال عمر : يا ابن رواحة بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى حرم الله تقول شعراً؟ فقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (خلِّ عنه يا عمر : فلهى أسرع فيهم من نضح النبل) [3] .

وفى (المواهب اللدنية) : عن أنس بن مالك رضى الله عنه من رواية البيهقى قال : جاء أعرابى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أتيناك ومالنا صبى يغط ولا بعير يئط وأنشد :

أَتَيْنَاكَ وَالْعَذْرَاءُ يُدْمِى لِبَابُـهَا وَقَدْ شُغِلَتْ أُمُّ الصَّـبِيِّ عَنِ الطِّـفْلِ
وَأَلْقَى بِكَفَّيْهِ الْفَتَى لاسْـتِكَانَةٍ مِنَ الجُوعِ ضَعْفاً مَا يُمِرُّ وَلاَ يُحْـلِى
وَلاَ شَئَ مِمَّا يَأْكُـلُ النَّاسُ عِنْدَنَا سِوَى الحَنْظَلِ العَامِىِّ والعِلْهِزْ الغَسْلِ
وَلَيْسَ لَنَا إلّا إِلَيْـكَ فِـرَارُنَا وَأَيْـنَ فِرَارُ النَّـاسِ إلّا إِلَى الرُّسْـلِ

---

[1] أخرجه ابن ماجة فى سننه ، كتاب النكاح ، باب الغناء والدف .
[2] شرح المواهب ، ج 2 ، ص 165 .
[3] الشمائل المحمدية ، ص 169 ، 170.

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر فرفع يده إلى السماء ثم قال : (اللهم أغثنا غيثاً مغيثا مُرْبِعاً غدقاً طبقاً نافعاً غير ضار عاجلاً غير رائث تملأ به الضرع وتنبت به الزرع وتحى به الأرض بعد موتها) قال : فما ردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه إلى نحره حتى ألقت السماء بأبراقها وجاء أهل البطانة يضجون الغرق الغرق فقال عليه الصلاة والسلام : (حوالينا ولا علينا) فانجابت السحابة عن المدينة حتى أحدقت حولها كالإكليل وضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال : (لله در أبى طالب لو كان حياً لقرت عيناه ، من ينشدنا قوله ؟) فقال على رضى الله عنه يا رسول الله كأنك تريد قوله :

وَأَبْيَضٌ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِوَجْهِهِ ثِمَـــالُ الْيَتَامَى عِـــصْمَةٌ لِلأَرَامِلِ
تُطِيفُ بِهِ الهُلاَّكُ مِـنْ آلِ هَاشِمٍ فَـــهُمْ عِنْدَهُ فِى نِـــعْمَةٍ وَفَوَاضِـــلِ
كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ الله نَـبْزِى مُحَمَّداً وَلَمَّا نُـــــطَاعِنْ حَوْلَهُ وَنُنَاضِـــلِ
وَنُسْلِمُـهُ حَتَّـى نُصَرَّعَ حَـوْلَهُ وَنَذْهـلَ عَـــــنْ أَبْنَائِنَا والحَلاَئِلِ

فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (أجل) ـ أى نعم [1] .

كما روى الخطيب وأبو نعيم والديلمى وابن عساكر من طريقين عن البخارى ....أن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : كنت قاعدة أغزل والنبى صلى الله عليه وسلم يخصف نعله فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نوراً فبهت ، فقال مالك بهت ؟ قلت جعل جبينك يعرق وجعل عرقه يتولد نوراً ولو رآك أبو كبير الهزلى لعلم أنك أولى بشعره حيث يقول :

وَمُبَرَّأٌ مِنْ كُلِّ غُبْرِةِ حَيْضَـــةٍ وَفَسَـــادِ مُرْضِعَـــةٍ وَدَاءِ مَغِيلِ
وإذَا نَظَرْتَ إلى أسِرَّةِ وَجْهِهِ بَرَقَتْ بُرُوقِ العَـارِضِ المُتَهَلِّلِ

فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان فى يده وقام إلىّ فقبل ما بين عينى وقال : (جزاك الله يا عائشة خيراً ، فما أذكر أنى سررت كسرورى بكلامك) [2] .

فانظر إلى أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها لو كان المدح منهى عنه لكانت أولى الناس بالالتزام بأمر النبى صلى الله عليه وسلم، بل هى أخبرته بأبيات أبى كبير الهزلى وهو شاعر جاهلى ، وهكذا شأن الفصحاء والبلغاء يحفظون ويعرفون لغة قومهم ، وانظر إلى إقراره صلى الله عليه وسلم واستماعه إلى هذه الأبيات هل حثا عليها التراب أو قال لا تقولى مثل هذا ، وفى هذا دليل على أنه يجوز المدح لكل من اقتفى آثاره صلى الله عليه وسلم التى جمعت كل الصفات الحميدة والأخلاق الفاضلة ، وأى خلق حميد

---

[1] شرح المواهب ، ج 11 ، ص 139 .
[2] نقلاً عن كتاب : إعلام النبيل بجواز التقبيل ، للمحدث العالم أبى الفضل عبد الله ابن محمد بن الصديق الغمارى ، ص 16، 17 .

وصفة جميلة إنما هى مستمدة من أخلاق وصفات النبى صلى الله عليه وسلم ، فالمدح لمن تخلق بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم هو فى الحقيقة مدح لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

تكريمه صلى الله عليه وسلم
الشعراء المادحين له

فالمتتبع لكتب السيرة المحمدية يجد أنه صلى الله عليه وسلم قد أقر المديح وأصغى سمعه إليه بل أعطى عليه جزيل العطاء ودعا لمادحيه بخير الدعاء . فقصة كعب بن زهير مشهورة لا يخفيها إلّا حسود ولا يجهلها إلا عدوّ للسيرة .

فشأنُ الكرام الذين رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدهم أن تأخذهم أريحية الكرم عند مدح المادحين ويميزوهم بما يقتضيه فضلهم ومكارم أخلاقهم ليحققوا ظنهم الجميل فيهم بمنحهم ما أملوه منهم وتبليغهم أقاصى أمانيهم لا لاحتياجهم إلى مدحهم بل لكون ذلك من شأن الكرام يجدون من أنفسهم بواعث قوية لا يمكنهم إلا العمل بمقتضاها كما فعل سيدهم سيد الوجود وأكرم من كل والد ومولود حينما أنشده كعب بن زهير رضى الله عنه قصيدته (بانت سعاد) . وعندما بلغ كعب قوله :

إنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِه مُهَنَّدٌ مِنْ سُيوفِ اللهِ مَسْلُولُ

ألقى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بردته [1] فهل تفل وحثا عليه التراب؟! أو قال أطريتنى كما أطرت النصارى ابن مريم ؟! كل ذلك لم يكن . فكن ذا نظر وافهم السنة على مقصدها الصحيح .

وأيضاً نجده صلى الله عليه وسلم دعا لسيدنا عبد الله ابن رواحة بالتثبيت عندما سمعه يقول :

إنِّى تَفَرَّسْتُ فِيكَ الخَيْرَ أَعْرِفُهُ واللهُ يَعْلَمُ أَنْ مَا خَانَنِى البَصَرُ
أَنْتَ النَّبِى وَمَنْ يُحْرَمْ شَفَاعَتَهُ يَوْمَ الحِسَابِ فَقَدْ أَزْرَى بِهِ القَدَرُ
فَثَبَّتَ اللهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنٍ تَثْبِيتَ مُوسَى وَنَصْراً كَالَّذِى نُصِرُوا

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : (وأنت فثبتك الله يا ابن رواحة) [2] فثبته الله فى غزوة مؤته حتى استشهد رضى الله عنه .

وها هو زعيم هوازن أبو جرول وكان رئيس قومه لما أسره النبى صلى الله عليه وسلم هو وقومه وقف بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنشده وذكره أيام رضاعه فما كان منه صلى الله عليه وسلم إلا أن عفا عن الأسرى والسبايا التى كانت له ولبنى عبد المطلب وعندها أطلقت الأنصار سباياها إكراماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك بسبب هذه الأبيات ، فهكذا شأن الكرام عند الترجى وحسن الظن بهم فكيف

---

[1] الذخائر المحمدية ، ص 175 .
[2] أسد الغابة ، ج 3 ، ص 157 .

برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أكرم الخلق وأرأف الخلق وأحلم الخلق فكان من شعر رئيس هوازن :

امْنُنْ عَلَيْنَا رَسُــولَ اللهِ فِـى حَرَمٍ فإِنَّكَ المَرْءُ نَرْجُـــوهُ وَنَنْتَـظِرُ
امْنُنْ عَلَى نِسْوَةٍ قَدْ كُنْتَ تَرْضَعُهَا يا أَرْجَحَ النَّاسِ حِلْماً حِينَ يُخْتَبَرُ
إِنَّا لَنَشْـــكُرُ لِلنُّعْـــمَى إِذا كُفِرَتْ وَعِنْدَنَا بَعْــدَ هَذَا الْيَوْمِ مُدَّخَــرُ

فَتَذَكَّر صلى الله عليه وسلم حين نشأ فى هوازن وأرضعوه فقال عليه الصلاة والسلام : (أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لله ولكم) فقالت الأنصار وما كان لنا فهو لله ورسوله فردت الأنصار ما كان فى أيديها من الذرارى والأموال [1] .

ونقل عن الشعبى أنه قال أنشد نابغة بنى جعدة النبى صلى الله عليه وسلم هذا البيت :

بَلَغْنَا السَّما مَجْداً وَجُوداً وسُؤْدَداً وإِنَّا لَنَرْجُوا فَـــوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرا

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : (إلى أين يا أبا ليلى؟) فقال إلى الجنة بك يا رسول الله قال : (نعم إن شاء الله) . فلما أنشده :

وَلاَ خَيْرَ فِى حِـلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ بَـــوَادِرُ تَحْمِى صَفْوَهُ أَنْ يُكَـدَّرَا
وَلاَ خَيْرَ فِى جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَلِيمٌ إِذَا مَا أَوْرَدَ الأَمْرَ أَصْدَرَا [2]

قال النبى صلى الله عليه وسلم :(لا يفضض الله فاك) فعاش مائة وثلاثين سنة لم تنغض له ثنية [3] .

فانظر إلى مقام الشعر عند النبى صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عفو وصفح وهبة. فلا مجال لقول مفترٍ أو متنطع أنه لا يجوز مدحه صلى الله عليه وسلم .

إن إكرامه المادحين والمنشدين القصائد في مدحه صلى الله عليه وسلم ، قد امتد حتى بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى ومازال مستمراً مبسوطاً لكل من صفت سريرته وسلم قلبه وأخلص فى مدحه صلى الله عليه وسلم فقصة العتبى أكبر دليل على عطائه وإكرامه بعد انتقاله . قال الإمام الحافظ الشيخ عماد الدين ابن كثير: ذكر جماعة منهم الشيخ أبو منصور الصباغ فى كتابه (الشامل) الحكاية المشهورة عن العتبى ، قال : كنت جالساً عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم فجاء أعرابى فقال : السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول : (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً) [4] وقد جئتك مستغفراً لذنبى مستشفعاً بك إلى ربى ثم أنشد يقول :

---

[1] المدح النبوى بين الغلو والإنصاف ، ص 84 ، 85 .
[2] المصدر السابق ، ص 101، 102 .
[3] العقد الفريد ، ج 6 ، ص 125 .
[4] سورة النساء ، الآية رقم : 64.

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أعْظُمُهُ فَطابَ مِنْ طِيبِهِنَّ القَاعُ والأَكَمُ
نَفْسِى الفِــدَاءُ لِقَبْرٍ أنْتَ سَاكِنُهُ فِيهِ العَفَافُ وَفِيهِ الجُودُ والكَرَمُ

ثم انصرف الأعرابى فغلبتنى عينى فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال : ألحق الأعرابى وبشره أن الله قد غفر له [1].

فإن إكرامه صلى الله عليه وسلم لا ينقطع بوفاته ففضله صلى الله عليه وسلم ثابت فى الأولين وعطاؤه وكرمه باقٍ فى الآخرين . جاء فى معنى الحديث الشريف عرض أعمالنا عليه فإن رأى خيراً حمد الله وإن رأى شراً استغفر الله لنا [2] ويكفى هذا من تكريمه لنا . ومما يزيد فى هذا التكريم أن صلاتنا عليه صلى الله عليه وسلم ومدحنا له والفرح به ـ كما قال تعالى : (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) [3] كل ذلك من أعمال الخير التى تصله ويحمد الله عليها حمداً هو بمثابة إكرامه صلى الله عليه وسلم لنا .

---

[1] مفاهيم يجب أن تصحح ، تأليف السيد محمد بن علوى ، ص 57.
[2] الحديث بتمامه سبق تخريجه .
[3] سورة يونس ، الآية رقم : 158.

أمره صلى الله عليه وسلم المادحين بمدح بعض الصحابة رضى الله عنهم

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ..... فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن مِنْ أمَنِّ الناس علىّ فى صحبته وماله أبو بكر ، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربى لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن أخوة الإسلام ومودته ، لا يبقين فى المسجد باب إلّا سُدَّ إلّا باب أبى بكر) [1] .

وقد مدح حسان فى هذا الموقف سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر الصديق بقصيدة ينتصر فيها لأبى بكر وهى :

إِذَا تَـذَكَّرْتَ شَجْواً مِـنْ أَخِـى ثِـقَـةٍ ... فاذْكُرْ أَخَـــاكَ أَبَا بَكْرٍ بِمَـا فَعَـلا
التَـــالى الثَّانِـى المَحْمُـودَ شِـيمَتُهُ ... وَأَوَّلَ النَّاسِ طُـرّاً صَدَّقَ الرُّسُـلاَ
والثَّانِى اثْنَيْنِ فِى الغَارِ المُنِيفِ وَقَدْ ... طَـافَ العَدُوُّ بِـهِ إذْ صَعَّدَ الجَبَـلا
وَكَـانَ حِـبَّ رَسُولِ اللهِ قَـدْ عَلِمُوا ... مِنَ البَرِيَّةِ لَمْ يَعْـــدِلْ بِهِ رَجُلا
خَـيْرُ البَـرِيَّةِ أَتْقَـاهَا وأَعْدَلُهَـا ... بَعْـــدَ النَّبِىّ وَأَوْفَاهَا بِمَا حَمَـلا
عَـاشَ حَمِـــيداً لأَمْـرِ اللهِ مُتَّبِـعاً ... بِأَمْرِ صَاحِبِهِ المَاضِى وَمَا انْتَقَلا

فقال صلى الله عليه وسلم : (صدقت يا حسان دعوا لى صاحبى) قالها ثلاثاً [2] .

فماذا بعد سماعه صلى الله عليه وسلم لمدح صاحبه ورفيقه وخليفته من بعده ؟!!

ولم يكتفِ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإقرار والاستماع إلى تلك الأبيات بل أمر أن يُمدح بعض أصحابه صلى الله عليه وسلم كأمره لكعب بن زهير فى القصة التى رواها الشعبى حيث قال : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن كعباً ابن زهير بن أبى سلمة هجاه ونال منه أهدر ـ النبى صلى الله عليه وسلم ـ دمه ـ أى دم كعب ـ فكتب إليه أخوه بجير بن زهير وكان قد أسلم وحسن إسلامه ، يعلمه أن النبى صلى الله عليه وسلم قد قتل بالمدينة كعباً بن الأشرف ، فلما بلغه كتاب أخيه ضاقت به الأرض ولم يدر فيم النجاة ، فأتى أبا بكر رضى الله عنه فاستجاره فقال : أكره أن أجير على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أهدر دمك ، فأتى عمر رضى الله عنه فقال له مثل ذلك ، فأتى علياً رضى الله عنه فقال : أدلك على أمر تنجو به ، قال : وما هو؟ قال : تصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا انصرف فقم خلفه وقل يدك يا رسول الله أبايعك ، فإنه سيناولك يده من خلفه فخذ يده فاستجره فإنى أرجو أن يرحمك ، ففعل فلما ناوله رسول الله صلى الله عليه وسلم يده استجاره وأنشد قصيدته التى يقول فيها :

---

[1] أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب فضائل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، باب قول النبى صلى الله عليه وسلم سُدُّوا الأبواب إلّا باب أبى بكر .

[2] المدح النبوى بين الغلو والإنصاف ، ص 96 ، 97 .

وَقَالَ كُلُّ خَلِيـــــلٍ كُنْتُ آمُلُـهُ لا أُلْهِيَنَّكَ إنّى عَنْكَ مَشْـــغُولُ
فَقُلْتُ خَلُّوا سَـــبِيلِى لا أبَالكُمُ فَكُلُّ مَا قَـدَّرَ الرَّحْمَـنُ مَفْعُـولُ
أُنْبِـئْـتُ أنَّ رَسُولَ اللهِ أَوْعَـدَنِـي والعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ مَأْمُولُ [1]
فَـقَـدْ أتَيْتُ رَسُـولَ اللهِ مُعْتَـذِراً والعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ مَقْبُـولُ [2]
مَـهْلاً هَدَاكَ الَّذِى أعْطَاكَ نَافِلَةَ القُرءانِ فِيهِ مَوَاعِيظٌ وَتَفْصِيلُ

ومنها :

إنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهَنَّدٌ مِنْ سـُيُوفِ اللهِ مَسْلُولُ [3]

فلما فرغ منها قـال له النبى صـلى الله عليه وسلم : (أذكر الأنصار) فقال :

مَنْ سَـرَّهُ كَرَمُ الحَيَاةِ فَلاَ يَـزَلْ فِى مَقْنَبٍ مِنْ صَالِحِى الأنْصَارِ
النَّاظِرِين بِأعْـيُنٍ مُحْـــــمَرَّهٍ كَالجَمرِ غيْرِ كَلِيلَةِ الأبْصَـــارِ
والذَّائدينَ الـنَّـاس عَـنْ أدْيَانِهِـمْ بالمشـــرفىّ وبالقنا الخـــطَّارِ
والبَاذِلِيـنَ نُفُوسَـــــهُمْ لِنَبِيّـهِمْ يَوْمَ الهِـــيَاجِ وَقُبَّةَ الجَـــبَّارِ
يَتَطَهَّرُونَ كـأنَّـهُ نُسُـــكٌ لَهُـمْ بِدِمَاءِ مَـنْ عَلِقُوا مِنَ الكُفَّـــارِ
فالعِزُّ مِنْ غَسَّانَ فِـى جَرْثُومَـةٍ أعْيَتْ مَحَافِـرُهَا عَلَى المِنْفَـارِ
صـالُوا عَلَيْنَا يـوْمَ بَدْرٍ صَـوْلَـةً دَانَتْ لِوَقْعَـتِهَا جَمِيعُ نَـزارِ [4]

---

[1] المصدر السابق ، ص 97 ، 98 ، 99 .
[2] المجموعة النبهانية ، ج 3 ، ص 8 .
[3] الذخائر المحمدية ، ص 174 .
[4] المدح النبوى بين الغلو والإنصاف ، ص 99 ، 100.

حسان بن ثابت مادح رسول الله صلى الله عليه وســـــلم

هو حسان بن ثابت النجارى الخزرجى الأنصارى ، يكنى أبا الوليد وأبا عبد الرحمن ، كان من المعمرين ، عاش عشرين ومائة سنة شطرها الأول فى الجاهلية ، وشطرها الثانى فى الإسلام وتوفى عام 54 ـ هجرية ـ وهو شاعر مدنى كبير ـ أشعر أهل الحواضر فى الجاهلية ، وكان فى الإسلام شاعر النبى صلى الله عليه وسلم المنافح عن الدعوة الإسلامية حق المنافحة ، وهو أشد الشعراء الثلاثة على قريش ـ وهم : (حسان بن ثابت – كعب ابن مالك – وعبد الله بن رواحة) ـ ولعله أكبر شاعر إسلامى بذل نفسه للدفاع عن الإسلام [1] . وقد دعـــا له رســول الله صلى الله عليه وسلم بالتأييد بروح القدس فقال : (اللهم أيده بروح القدس) [2] فيقال أعانه جبريل ـ عليه السلام ـ بسبعين بيتاً [3] وفى الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان : (اهجهم ، أو هاجهم ، وجبريل معك) [4] . وفى صحيح مسلم عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أهجو قريشاً فإنه أشد عليها من رشق بالنبل فأرسل إلى ابن رواحة فقال أهجهم فهجاهم فلم يُرضِ فأرسل إلى كعب ابن مالك ثم أرسل إلى حسان بن ثابت فلما دخل عليه قال حسان قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه ثم أدلع لسانه فجعل يحركه فقال والذى بعثك بالحق لأفرينهم فرى الأديم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تعجل فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها وإن لى فيهم نسباً حتى يلخّص لك نسبى ، فأتاه حسان ثم رجع فقال : يا رسول الله قد لخّص لى نسبك والذى بعثك بالحق لأسلنك منهم كما تسلّ الشعرة من العجين) . قالت السيدة عائشة رضى الله عنها : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (هجاهم حسان فشفى واشتفى) [5] .

فمما قال حسان رضى الله عنه :

---

[1] المصدر السابق ، ص 48 .
[2] أخرجه مسلم فى صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت رضى الله عنه .
[3] شرح المواهب ، ج 5 ، ص 75 .
[4] أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت رضى الله عنه .
[5] المصدر السابق .

هَجَوْتَ مُحَمَّداً فَأَجَــبْتُ عَنْهُ ... وَعِنْــدَ اللهِ فِــى ذَاكَ الْجَــزَاءُ
هَجَوْتَ مُحَمَّداً بَرَّاً تَــقِيَّــاً ... رَسُــولَ اللهِ شِــيمَتُهُ الْوَفَاءُ
فَإِنَّ أَبِــى وَوَالِــدَهُ وَعِرْضِى ... لِعِــرْضِ مُحَــمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَــاءُ
تَكِلْتُ بُنَــيَّتِى إِنْ لَمْ تَرَوْهَــا ... تُــثِيرُ النَّقْــعَ مِــنْ كَنَفَى كَدَاءُ
يُبَارِينَ الأَعِنَّةَ مُصْعِــدَاتٍ ... عَلَى أَكْتَافِهَا الأَسَــلُ الظِّمَــاءُ
تَظَلُّ جِــيَادُنَا مُتَــمَطِّرَاتٍ ... تُلَطِّمُــهُنَّ بِالْخُــمُرِ النِّسَــاءُ
فَإِنْ أَعْرَضْتُمُوا عَنَّا اعْتَمَرْنَا ... وَكَــانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ
وَإِلَّا فَاصْبِرُوا لِضِرَابِ يَوْمٍ ... يَعِــزُّ اللهُ فِيهِ مَنْ يَشَــاءُ
وَقَالَ اللهُ قَدْ أَرْسَــلْتُ عَــبْداً ... يَقُولُ الْحَــقَّ لَيْسَ بِهِ خَفَــاءُ
وَقَالَ اللهُ قَدْ يَسَّــرتُ جُنْداً ... هُمُ الأَنْصَــارُ عُرْضَتُهَا اللِّقَاءُ
لَنَا فِى كُلِّ يَــوْمٍ مِنْ مَعَدٍّ ... سِــبَابٌ أَوْ قِتَالٌ أَوْ هِجَاءُ
فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللهِ مِنْكُمْ ... وَيَمْدَحُــهُ وَيَنْصَرُهُ سَــوَاءُ
وَجِبْرِيــلُ رَسُــولُ اللهِ فِيــنَا ... وَرُوحُ الْقُدْسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ [1]

وفى (المواهب) قال حسان رضى الله عنه :

أَغَــرُّ عَلَيْــهِ لِلنُّــبُوَّةِ خَــــاتَمٌ ... مِنَ اللهِ مَــن نــور يَلُــوحُ وَيَشْــهَدُ
وَضَمَّ الإِلَهُ اسْمَ النَّبِىِّ إِلَــى اسْمِــهِ ... إِذَا قَالَ فِى الْخَــمْسِ الْمُؤَذِّنُ أَشْــهَدُ
وَشَــقَّ لَــهُ مِــنْ اسْــمِهِ لِيُجِلَّهُ ... فَذُو الــعَرْشِ مَحْــمُودٌ وَهَــذَا مُحَــمَّدُ
نَبِــىٌّ أَتَــانَا بَــعْدَ يَأْسٍ وَفَــتْرَةٍ ... مِنَ الرُّسْلِ وَالأَوْثَانُ فِى الأَرْضِ تُعْبَدُ
فَأَمْسَى سِرَاجــاً مُسْــتَنِيراً وَهَادِيــاً ... يَلُــوحُ كَــمَا لاَحَ الصَّــقِيلُ الــمُهَنَّدُ
وَأَنْــذَرَ نَــارَاً وَبَشَّــرَ جَنَّــةً ... وَعَلَّــمَنَا الإِسْــلاَمَ فَاللهَ نَحْــمَدُ
وَأَنْتَ إِلَهُ الْخَلْقِ رَبِّى وَخَــالِقِى ... بِــذَلِكَ مَــاعَمَّرْتُ فِى النَّاسِ أَشْهَدُ
تَعَالَيْتَ رَبَّ النَّاسِ عَنْ قَوْلِ مَنْ دَعَا ... سِــوَاكَ إِلَــهاً أَنْــتَ أَعْلَى وَأَمْجَــدُ
لَكَ الْخَــلْقُ وَالنَّعْــمَاءُ وَالأَمْرُ كُلُّهُ ... فَإِيَّاكَ نَسْــتَهْدِى وَإِيَّاكَ نَــعْــبُدُ [2]

وجاء فى (أسد الغابة) قول حسان رضى الله عنه :

يَا رُكْنَ مُعْتَمَدٍ وَعِصْــمَةَ لاَئِذٍ ... وَمَــلاَذَ مُنْتَــجِعٍ وَجَــارَ مُجَــاوِرِ
يَا مَنْ تَخَــيَّرَهُ الإِلَهُ لِخَلْــقِهِ ... فَحَــبَاهُ بِــالْخُلُــقِ الــزَّكِىِّ الطَّــاهِــرِ
أَنْتَ النَّبِىُّ وَخَــيْرُ عِصْمَةُ آدَمٍ ... يَامَنْ يَجُــودُ كَفَــيْضِ بَحْــرٍ زَاخِــرِ
مِيكَالُ مَعَــكَ وَجِبْرَئِيلُ كِلاَهُمَا ... مَدَدٌ لِنَصْرِكَ مِــنْ عَــزِيزٍ قَاهِــرِ [3]

---

[1] المصدر السابق .
[2] شرح المواهب ، ج 4 ، ص 237 .
[3] أسد الغابة ، ج 1 ، ص 297 .

وأيضا فى (أسد الغابة) : وصفت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان والله كما قال حسان :

مَتَى يَبْدُ فِى الدَّاجِى البَهِيمِ جَبِينُهُ يَلُحْ مِثْلَ مِصْبَاحِ الدُّجَى المُتَوَقِّدِ
فَمَنْ كَانَ أوْ مَنْ قَدْ يَكُونُ كَأحْمَدٍ نِظَامٌ لحَقّ أوْ نَكَالٌ لِمُلْحِدِ [1]

وقال حسان رضى الله عنه فى معاهد التنصيص :

لَهُ هِمَمٌ لاَ مُنْتَهَى لِكِبَارِهَا وَهِمَّتُهُ الصُّغْرَى أَجَلُّ مِنَ الدَّهْرِ
لَهُ رَاحَةٌ لَوْ أَنَّ مِعْشَارَ جُودِهَا عَلَى البَرِّ كَانَ البَرُّ أنْدَى مِنَ البَحْرِ [2]

ومما اشتهرت نسبته إلى حسان رضى الله عنه :

وَأحْسَنُ مِنْكَ لَمْ تَرَ قَطُّ عَيْنِى وَأجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النِّسَاءُ
خُلِقْتَ مُبَرَّءاً مِنْ كُلِّ عَيْبٍ كَأنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ كَمَا تَشَاءُ [3]

---

[1] المصدر السابق ، ج 2 ، ص 4 .
[2] المدح النبوى بين الغلو والإنصاف ، ص 54 ، 55 .
[3] المصدر السابق .

إقرار الصحابة رضى الله عنهم لشعر حسان

والصحابة نسبة لامتلاء جوانحهم بحب الرسول صلى الله عليه وسلم واقتفاء آثاره واتباع سنته فقد أقروا إنشاد الشعر والمدح لما رأوه سنة أقرها النبى صلى الله عليه وسلم باستماعه لذلك من الصحابة أمثال سيدنا حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب ابن مالك وغيرهم من شعراء الإسلام ، وطلبه صلى الله عليه وسلم من الشعراء أن يهجوا الكفار .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه : أن عمر مرّ بحسان وهو ينشد الشعر فى المسجد . فلحظ إليه ـ أى نظر إليه نظرة إنكار ـ فقال : قد كنت أنشد ، وفيه من هو خير منك ـ يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ ثم التفت إلى أبى هريرة فقال : أنشدك الله ! أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (أجب عنى اللهم أيده بروح القدس) ؟ قال : اللهم نعم [1] .

قال الإمام النووى فى شرح صحيح مسلم بعد ذكر هذا الحديث أن : فيه جواز إنشاد الشعر فى المسجد إذا كان مباحاً، واستحبابه إذا كان فى ممادح الإسلام وأهله، أو فى هجاء الكفار والتحريض على قتالهم أو تحقيرهم ونحو ذلك، وهكذا كان شعر حسان [2].

فها هم الصحابة رضى الله عنهم قد أقروا شعر حسان رضى الله عنه بعد انتقال النبى صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى فصار شعر المديح سنة متبعة جيلاً تلو جيل إلى يومنا هذا .

---

[1] أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل حسان بن ثابت رضى الله عنه .

[2] صحيح مسلم بشرح النووى ، ج 8 ، ص 287.

رثاءُ بعض الصحابةِ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم
بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى

أعلم يا أخى أن مدح الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن متعلقاً بحياته ، فإنه لما انتقل إلى الرفيق الأعلى عاود الصحابة ذلك الحنين وتذكروا أنهم كانوا يجلسون عند حضرته وينشدون أمامه القصائد فى مدحه ، أجل لقد علقت هذه الذكريات العظيمة بوجدانهم ، وتذكروا إقراره صلى الله عليه وسلم لتلك القصائد ، بل علموا أن فى ذلك قرة عينه ورضاه ، فكان هذا دافعا لهم فى رثائهم إياه صلى الله عليه وسلم . فإليك يا أخى نماذج لتلك القصائد التى تعبر عن الحب الصادق النابع من قلوب الأصحاب الطاهرين رضوان الله عليهم أجمعين ، وقد كان فى مقدمتهم صاحب مقام الصديقية والدرجة العلية سيدنا أبو بكر الصديق الذى اشتدّ حزنه على فراق الحبيب صلى الله عليه وسلم فأنشد :

يَا عَيْنِ فَابْكِي وَلاَ تَسْـــــأَمِي ... وَحُقَّ الْبُـــكَاءُ عَلَى السَّـــيِّدِ
عَلَى خَيْرِ خِنْدِفَ عِنْدَ الـــبَلاَءِ ... أَمْـسَى يُغَـــيَّبُ فِى الْمُلْحَـدِ
فَصَلَّى الْمَلِيكُ وَلِى الْعِـــــبَادِ ... وَرَبُّ الْبِـــلاَدِ عَلَى أَحْـمَدِ
فَكَيْفَ الْحَيَاةُ لِفَقْدِ الْحَـــــبِيبِ ... وَزَيْنِ الْمَعَـــاشِرِ فِى الْمَشْهَدِ
فَلَيْتَ الْمَمَـــاتَ لَنَا كُلِّـــــنَا ... وَكُنَّا جَمِيعاً مَـعَ الْمُـهْـتَدِى

ولا يغيب ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بال أبى بكر لحظة واحدة وقد تعلق به فى حياته وكان أثـيراً عنده مقرباً مكرماً فيعود ويبكى ويقول :

لَمَّـا رَأَيْتُ نَبِـيَّنَا مُتَجَـــــدِّلاً ... ضَاقَتْ عَلَى بِعِرْضِهِنَّ الـدُّورُ
وَارْتَعْتُ رَوْعَةَ مُسْتَهَـامٍ وَالِهٍ ... وَالْعَظْمُ مِنِّى وَاهِنٌ مَكْسُـــورُ
أَعَتِيقُ وَيْحَكَ إِنَّ حِبَّكَ قَدْ ثَوَى ... وَبَقِيتَ مُنْفَرِداً وَأَنْتَ حَسِـــيرُ
فَلَيْتَنِى حِـينَ نُـبِّئْتُ الْغَدَاةُ بِـهِ ... غُيِّبْتُ فِى جَدَثٍ عَلَى صُخُـــورُ
فَلَتَحْدُثَـنَّ بَـــدَائِعٌ مِنْ بَعْـــدِهِ ... تَعْيَا بِهِـنَّ جَوَانِحٌ وَصُدُورُ [1]

وأيضاً شاعره حسان بن ثابت قد شده الشوق إلى تذكره صلى الله عليه وسلم فرثاه بمرثيات كثيرة منها :

تَبَّ الْمَسَـــاكِينُ إِنَّ الْخَيْرَ فَارَقَهُمْ ... مَعَ النَّـبِىِّ تَوَلَّى عَنْـهُمُ سَـــحَرَا
مَنْ ذَا الَّذِى عِنْدَهُ رَحْلِى وَرَاحِلَتِى ... وَرِزْقُ أَهْلِى إِذَا لم يُؤنِسُوا المَطَرَا
كَانَ الضِّيَاءَ وكـان النُّورَ نَتْـبَعُهُ ... بَعْـدَ الإِلَه وكان السـمع والبصرا

---

[1] الإنصاف لمدح كامل الأوصاف ، ص 29، 30 .

فَيَا لَيْـتَنَا يَـوْمَ وَارَوْهُ بَمْلـحَـدِهِ وَغَـيَّبُــوه وألْقَـوْ فَـوْقَـهُ المَـدَرَا
لَـمْ يَتْـرُكِ اللهُ مِـنَّا بَعْـدَهُ أحَـداً وَلَـمْ يُعِـشْ بَعْـدَهُ أُنْثَى وَلاَ ذَكَرَا [1]

وقد رثاه صلى الله عليه وسلم سيدنا عمر بن الخطاب وكوكبة من الصحابة الأخيار ولو لا خوف الإطالة لأتينا برثائهم ، وقد شاركهم فى هذا الصحابيات الجليلات وعلى رأسهن السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن رثائها :

إغْبَرَّ آفاقُ السَّــمَاءِ وَكُـوِّرَتْ شَمْسُ النَّهَارِ وأَظْلَمَ العَصْرَانِ
فَالأَرْضُ مِنْ بَعْدِ النَّبِّى كَئِيبَةٌ أسَـفـاً عَلَيْهِ كَثِيرَةُ الأَحْــزَانِ
فَلْيَبْكِـهِ شَــرْقُ البِلادِ وَغَرْبُهَا وَلْتَبْكِهِ مُضَــرٌ وَكُلُّ يَمَــانِى
وَلْيَبْكِـهِ الطَّـوْدُ المُعَظَّمُ جـوُّهُ وَالْبَيْتُ ذُو الأسْـتَارِ وَالأَرْكَانِ
يَا خَاتِمَ الرُّسُلِ المُبَارَكِ صِنْوِهِ صَلَّى عَلَيْكَ مُنَزِّلُ القُرْآنِ [2]

---

[1] المجموعة النبهانية ، ج 1 ، ص 59 .
[2] الإنصاف لمدح كامل الأوصاف ، ص 44 ، 45 .

(فـائـدة) فى ذكر مجموعة من أسماء الصحابة الذين مدحوا رسـول الله صلى الله عليه وسـلم

كما جاء المتأخرون من السلف الصالح وملأوا الساحة مدحاً وثناءً على النبى صلى الله عليه وسلم فقد سبقهم إلى ذلك جمهور من أجلاء الصحابة مدحاً ورثاءً للمصطفى صلى الله عليه وسلم فمنهم :

1/ سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه .
2/ سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه .
3/ سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه .
4/ سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه .
5/ سيدنا حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه .
6/ سيدنا العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه .
7/ سيدنا حسان بن ثابت رضى الله عنه .
8/ سيدنا كعب بن مالك الأنصارى رضى الله عنه .
9/ سيدنا عبد الله بن رواحة رضى الله عنه .
10/ سيدنا أبو سفيان بن الحارث رضى الله عنه ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم .
11/ سيدنا كعب بن زهير رضى الله عنه .
12/ سيدنا العباس بن مرداس السلمى رضى الله عنه .
13/ سيدنا عمرو بن سالم رضى الله عنه .
14/ سيدنا أبو جرول زهير بن صرد الجُشَمى رضى الله عنه .
15/ سيدنا عبد الله بن الزِّبعْرِى رضىالله عنه .
16/ سيدنا مالك بن نمط الهَمْدانى رضى الله عنه.
17/ سيدنا أُسيد بن أبى أناس بن زنيم رضى الله عنه .
18/ سيدنا أصيد بن سلمة السلمى رضى الله عنه.
19/ سيدنا مالك بن عوف النصرى رئيس هوازن رضى الله عنه .
20/ سيدنا قيس بن بحر الأشجعى رضى الله عنه .
21/ سيدنا عمرو بن سبيع الرهاوى رضى الله عنه .
22/ سيدنا الجارود بن المُعَلَّى رضى الله عنه .
23/ سيدنا النابغة الجعدى واسمه قيس بن عبد الله رضى الله عنه .
24/ سيدنا الأعشى المازنى رضى الله عنه .
25/ سيدنا فضالة الليثى رضى الله عنه .
26/ سيدنا مازن بن الغضوبة الطائى رضى الله عنه .

وأما الصحابيات الجليلات :

1/ السيدة فاطمة رضى الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .
2/ السيدة صفية بنت عبد المطلب رضى الله عنها عمة النبى صلى الله عليه وسلم .
3/ السيدة أروى بنت عبد المطلب رضى الله عنها .
4/ السيدة عاتكة بنت عبد المطلب رضى الله عنها .
5/ السيدة هند بنت أثاثة بن عبَّاد بن عبد المطلب رضى الله عنها .
6/ السيدة أم أيمن بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن حصين رضى الله عنها .
7/ السيدة قتيلة بنت النضر بن الحارث القرشية رضى الله عنها .
8/ السيدة عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل رضى الله عنها [1] .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين
وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين

تم بعون الله وتوفيقه فى
20 رمضان 1423هـ الموافق له 25 نوفمبر 2002م
أحمد بن الشيخ/ دفع الله الصائم ديمه

[1] أنظر : الطبقات الكبرى، تأليف محمد بن سعد ـ المجموعة النبهانية ـ شرح المواهب ـ العقد الفريد .

المصـادر والمراجـع

أولاً : القرءان الكريم والحديث الشريف

1/ القرءان الكريم .

2/ تفسير القرآن العظيم : للإمام الحافظ عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى : دار الحديث – القاهرة – ط السادسة 1413هـ / 1993م .

3/ تفسير القرطبى : لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى : تحقيق سالم مصطفى البدرى : دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط الأولى 1420هـ / 2000م.

4/ حاشية العلامة الصاوى على تفسير الجلالين : للعارف بالله تعالى الشيخ أحمد الصاوى المالكى : دار احياء التراث العربى – بيروت – لبنان .

5/ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل : تأليف أبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزّمَخْشَرِى الخَوَارِزْمِى : دار المعرفة – بيروت – لبنان .

6/ صحيح البخارى : للإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى الجعفى : دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض – ط الأولى 1417هـ/1997م .

7/ صحيح مسلم : للإمام أبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى : دار الحديث – القاهرة – ط الأولى 1412هـ / 1991م .

8/ مسند الإمام أحمد بن حنبل : دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط الأولى 1413هـ / 1993م .

9/ سنن ابن ماجة : للحافظ أبى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان – ط الأولى 1421هـ /2001م .

10/ سنن أبى داؤود : للحافظ أبى داؤود سليمان بن الأشعث السجستانى : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان – ط الثالثة 1420هـ/1999م .

11/ الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى : لأبى عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرَة : دار إحياء التراث العربى – بيروت – لبنان 1415هـ / 1995م .
12/ الأدب المفرد : للإمام الحافظ محمد بن إسماعيل البخارى : دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .
13/ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : تأليف الحافظ نور الدين على بن أبى بكر بن سليمان الهيثمى : دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط الأولى 1422هـ/2001م .

ثانياً : المؤلفات

1/ أسد الغابة فى معرفة الصحابة : للإمام عز الدين أبى الحسن على بن محمد الجزرى ابن الأثير : دار المعرفة - بيروت – لبنان – ط الأولى 1418هـ/1997 م .

2/ إعلام النبيل بجواز التقبيل : للمحدث العالم أبى الفضل عبد الله بن محمد بن الصديق الغمارى : دار جوامع الكلم - القاهرة - ط الثالثة1422هـ 2001م .

3/ الإنصاف لمدح كامل الأوصاف تأليف السمؤال خلف الله القريش : الناشر المكتبة الأكاديمية – الخرطوم – السودان – ط الأولى 1999م .

4/ الخصائص الكبرى : للإمام الحافظ أبى الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبى بكر السيوطى : دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

5/ الذخائر المحمدية : تأليف السيد محمد بن علوى المالكى الحسنى : الناشر دار جوامع الكلم – الدَّرَّاسة – القاهرة .

6/ الشفاء بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم : تأليف القاضى عياض ابن موسى اليحصبى الأندلسى : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى بابى الحلبى وأولاده بمصر – ط الأخيرة 1369هـ / 1950م .

7/ الشمائل المحمدية : تأليف الإمام أبى عيسى محمد بن سورة الترمذى : المكتبة التوفيقية – القاهرة .

8/ الطبقات الكبرى : تأليف محمد بن سعد : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان – ط الأولى 1414هـ / 1994م .

9/ العقد الفريد : تأليف الفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى : دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط الثالثة 1407هـ/1987م .

10/ المجموعة النبهانية فى المدائح النبوية جمعها العلامة الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهانى : دار الكتب العلمية – بيروت – ط الأولى 1417هـ/1996م .
11/ المدح النبوى بين الغلو والإنصاف : تأليف السيد محمد بن علوى : دار وهدان للطباعة والنشر .
12/ المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية : الدكتور إبراهيم مدكور وآخرون : دار عمران ومطابع الأوفست بشركة الإعلانات الشرقية – ط الثالثة 1405هـ/ 1985م .
13/ الوهابية خطة سياسية أم دعوة دينية : تأليف السيد محمد الأمين العمرابى : مدينة القرءان والعلوم الإسلامية – محافظة البطانة – ولاية الجزيرة – السودان .
14/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : تأليف الحافظ أبى نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهانى : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان – 1416هـ / 1996م .
15/ دلائل النبوة : تأليف الإمام الحافظ أبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان – ط الأولى 1418هـ / 1997م .
16/ ديوان الإمام الشافعى : لأبى عبد الله محمد بن إدريس الشافعى : دار المنار للطبع والنشر والتوزيع – القاهرة – ط الأولى 1421هـ / 2000م .
17/ شرح العلامة الزرقانى على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية : للعلامة القسطلانى : دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان 1417هـ / 1996م .
18/ صحيح مسلم بشرح النووى : دار الحديث – القاهرة – ط الأولى 1415هـ / 1994م .
19/ قصيدة البردة المباركة : للإمام البوصيرى : الناشر دار جوامع الكلم – القاهرة .
20/ قصيدة الهمزية فى مدح خير البرية : للإمام شرف الدين أبى عبد الله محمد البوصيرى : مكتبة القاهرة – شارع الصنادقية بالأزهر بمصر .

21/ محبة النبى صلى الله عليه وسلم وطاعته بين الإنسان والجماد : تأليف الأستاذ الدكتور خليل إبراهيم مُلاّ خاطر : دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة – المملكة العربية السعودية – ط الثالثة – 1420هـ .

22/ مفاهيم يجب أن تصحح : تأليف السيد محمد بن علوى : دائرة الأوقاف والشئون الإسلامية – دبى – ط العاشرة 1415هـ / 1995م .

23/ نحت حديد الباطل وبرده بأدلة الحق الذابة عن صاحب البردة : للعارف بالله تعالى داوود بن سليمان النقشبندى البغدادى : تحقيق العلامة الشيخ عبد الرزاق النقشبندى : دار جوامع الكلم – الدَّرَّاسة – القاهرة .

رقم الإيداع : 2007/21

مطبعة سولو – الخرطوم
صفر 1428هـ - مارس 2007م

الفهرست

الموضوع الصفحة

آية.....4
إهداء.....5
شكر وتقدير.....6
تقاريظ.....7
المقدمة.....12

القسم الأول : مفهوم المدح والمديح

تعريف المدح.....15
وقفة مع قوله تعالى : (والشعراء يتبعهم الغاوون ...).....17
إيضاح حديث : (لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم).....20
حقيقة اعتقاد المادحين.....22
المدح النبوى وسيلة للدعوة إلى الله تعالى والتعرف على سيرته صلى الله عليه وسلم..... 24

القسم الثانى : أدلة مشروعية المدح والمديح

ذكره ومدحه صلى الله عليه وسلم فى القرآن الكريم.....35
مدحه صلى الله عليه وسلم فى الكتب السماوية المنزلة.....37
إقراره صلى الله عليه وسلم لمن مدحه.....39
تكريمه صلى الله عليه وسلم الشعراء المادحين له.....43
أمره صلى الله عليه وسلم المادحين بمدح بعض الصحابة رضى الله عنهم.....46
حسان بن ثابت مادح رسول الله صلى الله عليه وسلم.....48
إقرار الصحابة رضى الله عنهم لشعر حسان.....51
رثاء بعض الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى.....52
(فائدة) فى ذكر مجموعة من أسماء الصحابة الذين مدحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم 54
المصادر والمراجع.....56
الفهرست.....61

نبذة عن المؤلف

الإسم : الشيخ / أحمد بن الشيخ / دفع الله الصائم ديمه .
الميلاد : ١٩٨٢ م السودان ـ مدينة أم درمان .

المراحل التعليمية :

* حفظ القرآن الكريم وله من العمر ١١ عاما بمسيد والده المقر الرئيس بأم بده الحارة الرابعة (أم درمان) .
* تلقى دروسا فى التفسير والحديث الشريف والفقه والسيرة النبوية ، وذلك بمسيد والده أيضًا .
* عمل بتدريس القرآن بخلوة والده حتى تم تنصيبه بالخلافة .

خلافته : نصب فى مقام والده خلفًا له عام ١٩٩٧م .

أعماله :

* له مؤلفات علمية جمعها فى ما سماه : (سلسلة بيان المنهج الصوفى فى الدعوة إلى الله تعالى) طبع منها الكتب التالية : ١ـ النجوم الزاهرة فى جواز الاحتفال بمولد سيد الدنيا والآخرة ٢ـ سياحة روحية فى منهج الصوفية ٣ـ هذا الكتاب الذى بين أيدينا ، ومنها ما هو قيد الجمع والطبع ، مثل : ١ـ التحقيق فى أفعال أهل الطريق ٢ـ الأدب الرفيع فى ذكر السيادة عند اسم النبى صلى الله عليه وسلم ذى القدر الرفيع .
* يقيم بين الحين والآخر حلقة دروس دينية بمسيده ، بالإضافة إلى قيامه بالإرشاد الصوفى .
* له مجموعة من المدائح النبوية وقصائد القوم الصوفية فى كتاب يسمى : (ديوان العُبَّاد فى مدح خير العِباد) .
ومن هذه المدائح والقصائد ما طبع فى ألبومات كاسيت وهى : ١ـ المكسى بالأنوار ٢ـ النسايم زادن ٣ـ الجوهر المكنون ٤ـ سلامى يفوق .
* امتدت نفحة تسليكه الطريق إلى مريدين كثر داخل السودان كما أن له مريدين منتشرين فى بقاع العالم المختلفة .
* وقد سار على نهج والده فى إنشاء المساجد وتعميرها حسًا ومعنى .